الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية الآداب،اللغات والفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة بعنوان

المفاهيم الصوتية وتوظيفها في ألفية ابن معطي ما بين المتن والشرح

رئيس المشروع : أ.د. مختار بوعناني

من إعداد الطالبة:

بكوش نعيمة

إشراف :

الدكتور مكي درار

السنة الجامعية : 2007/2006م

إهداء

إلى من غرس في نفسي حب العلم والمعرفة إلى من فاضت روحه وانتقل إلى جوار ربه قبل أن ترى النور هذه الرسالة

إلى روح والدي الكريم الحاج عبد القادر بن نافلة طيب الله ثراه الذي نشأني على مخافة الله ومحبة رسوله والتابعين له

إلى والدتي وقرة عيني التي أرضعتني حليبا ممزوجا بالطهارة والصدق والوفاء، وعلمتني كيف أخوض غمار الحياة بشجاعة وإباء، ورسمت في قلبي عرشا من العفة، وكانت لي عونا وسندا في وجه كل العوائق،

إلى إخوتي وأزواجهم وأبنائهم، الذين أتاحوا لي فرصة تدوين هذه الأطروحة، فكانوا لي درعا واقيا في أحلك الظروف

إلى كل قريب، إلى كل من ساعدني وشجعني، إلى كل باحث عن الحق والحقيقة.

إلى هؤلاء السابق ذكرهم، أقدم هذا الجهد المتواضع، ومن الله نرجو العفو والغفران.

نعيمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مَن تعلّم العلم ليُباهي به العلماء، أو يمُاري به
السفهاء، أو يَصرف به وجوه النّاس
إليه أدخله الله جهنّم)

رواه ابن ماجه

مقدمة

مقدمـة

يرتبط علم الأصوات ارتباطا وثيقا بفروع علوم اللغة الأخرى: كالصرف، والنحو، وغيرها؛ إذ لأنّ المظاهر الصوتية تُسهم إسهاما كبيرا في تأسيس الفروع اللغوية الأخرى وتوضيحها، أضف إلى ذلك فأنّه قسيم علم الدلالة في الدراسات اللغوية.

وقد اخترت هذا الموضوع؛ لأنّ دراسة الأصوات مقدمة لابدّ منها لدراسة اللغة، وأنّ النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي وبقية الأنظمة الأخرى. ولما كان المشروع الذي أنتمي إليه هو" **الدراسات اللغوية في الجزائر**"، يهتم بأعلام الجزائر، ومصنّفاتهم اللغوية، وأماكنهم، وزمانهم، اخترت لموضوع البحث علاّمة جزائريا من علماء القرن السادس للهجرة، وهو" **ابن معطي الزواوي الجزائري**"(ت628هـ)، وهو أول من أوجد هذا النمط التعليمي المتكامل في النحو العربي، وأول من استعمل لفظ "الألفية"، وتبعه الآخرون كابن مالك، والسيوطي.

ومع هذا، لم يحظ ابن معطي باهتمام الدارسين اللغويين، ولم يُكتب له الذيوع حتى في وطنه، على الرغم من اعترافات أجلة العلماء له بالتفوق، فقدظلّ مغيّبا دفينا لا يسمع عنه إلا قلّة من أهل الاختصاص، وبقيت ألفيته حبيسة أدراج بعض المكتبات، وقد ضاع كثير من جهد هذا العالم بعوامل الزمن المختلفة طبيعية كانت أو بشرية.

ولهذه الأسباب، اخترت لموضوع بحثي هذا العالم؛ لاجتلاء جهود ابن معطي في الدراسة الصوتية، وكلّي عزم، وحرص على أن أقدِّم صورة شبه كاملة مجملة لعمل ابن معطي في الميدان الصوتي، وكان موضوع البحث كالآتي:
" **المفاهيم الصوتية وتوظيفها في ألفية ابن معطي ما بين المتن والشرح**"، يحاول هذا العنوان معالجة إشكالية تتمثل في تحديد مجال

توظيف ابن معطي للمفاهيم الصوتية في الدرة الألفية. ويضاف هذا البحث إلى بحوث سابقة اهتمت بجهود ابن معطي اللغوية، أذكر بعضا منها:
- خربوش عبد الرحمن" ابن معطي وجهوده اللغوية".
- محمد بن عزوز" الأبنية الصرفية ودلالتها في آثار ابن معطي".
- محمد بن يوسف رجب حراز" ابن معطي النحوي".
- محمود محمد الطناحي" ابن معطي وآراؤه النحوية مع تحقيق كتابه الفصول الخمسون".

وقد اقتضى هذا البحث، أن يتشكّل هيكله من ثلاثة فصول، مسبوقة بمدخل، ومُلحقة بخاتمة.

تحدثت في المدخل عن حقيقة اللغة ووظيفتها، وأشرت إلى العلاقة الرابطة بين المفهوم والمصطلح، ثم انتقلت إلى الحديث عن علم الأصوات في أثر الدارسين العرب قبل ابن معطي، منذ ظهوره عند العرب، وإلى أهم مراحله أو أطواره، وقد عرضت فيه أشهر الأعمال، لأشهر العلماء، وآرائهم في الدرس الصوتي، بدءا من أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن جني، وانتهاء بالسكاكي (ت626هـ)، ثم وقفت عند ابن معطي وألفيته.

وتحدثت عن ابن معطي في صورة موجزة، عرضت فيها اسمه، ولقبه، ونسبه، ومولده، ومكانه، وتعليمه، وشيوخه، وعصره، ومؤلفاته. وأما الألفية فقد أشرت إلى محتواها، والذين اهتموا بها بالشرح والدرس، كما أبرزت أثرها في الدارسين وإشادة العلماء. وفتحت بعد ذلك الفصل الأول من البحث.

عرضت في الفصل الأول المفاهيم الصوتية الفيزيولوجية الخاصة بالجهاز النطقي، ومواقع الصوت فيه عند ابن معطي، وحاولت معرفة نسبة توظيفه إيّاها بالاعتماد على ما جاء في الشرح، وما كان للسابقين، واللاحقين من القدماء، والمحدثين فيها من آراء مختلفة في هذا المجال،

مع ترجيح الرأي الصائب وتغليبه، وإظهار قيمة ابن معطي وجهوده في هذا الميدان.

وعنونت الفصل الثاني بالمفاهيم الصوتية الفيزيائية أو النفَسية، وتحدثت فيه عن عدد الصفات عند ابن معطي وأقسامها، وأسباب التقسيم والتسمية، وحاولت تبيُّن نسبة توظيفها، مستندة في ذلك كلّه على ما ورد في الشرح. ثم قارنتها بما جاء في آثار الدارسين قبل وبعد ابن معطي، وبيّنت موقف صاحب الألفية ورأيه في هذا المجال.

وأما الفصل الثالث والأخير، فقد تحدثت فيه عن التشكيلات الصوتية في ألفية ابن معطي، حيث جمعت المفاهيم الصوتية المتعلقة بها من خلال ما ورد في ثنايا الألفية، وحاولت الكشف عن مجالات استخدامه لها، ومدى اعتماده عليها في تنويع المباني الإفرادية وتشكيلها.

وبهذا الفصل انتهى البحث، وألحقته بخاتمة قسمتها ثلاثة أقسام، جعلت أولها للنتائج، وثانيها لمصادر البحث ومراجعه، وأخيرها لفهرس الموضوعات. وبذلك انتهى البحث الذي نهجت فيه طريقة الوصف، والتحليل، والمقارنة.

وقد لقيتني بعض العقبات أثناء إنجاز البحث، جاء معظمها في محاولة اتباع خطة متكاملة، وموحّدة، وقارّة فيما بين الفصول، وفي محاولة الكشف عن دلالات بعض الألفاظ الموظفة في المتن، ومقارنتها بما جاء في كتب المتقدمين، والمتأخرين من علماء العربية.

وأخيرا، أتوجّه بجزيل شكري وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل المشرف مكي درار، معترفة أنّ الخير في هذه الرسالة عائد إليه، وأنّ النقص عائد لعجزي أن أطبِّق وأنفِّذ كلّ ما أرشدني إليه، فجزاه الله خير الجزاء وأمدّ في عمره، ومنحه الصحة والعافية.

كما أسدي شكري خالصا، لأستاذي المحترم رئيس المشروع الأستاذ الدكتور مختار بوعناني على اهتمامه، وحرصه على تناول مثل هذه الدراسات وعلى تصبُّره، فجزاه الله خير الجزاء، ووفّقه في مسعاه هذا.

كما لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بالشكر لكلّ من قدّم لي المساعدة والعون من قريب أو بعيد، من أساتذة وزملاء، وأعترف للجميع بالفضل، ولهم منّي خالص التقدير والامتنان. وأنهي شكري إلى كلّ أعضاء اللجنة الموقّرة على ما بذلوه من جهد في دراسة هذا البحث، ليقدِّموا إلينا أهمّ الملاحظات وتوجيهاتهم، فجزاهم الله خيرا.

وأملنا أن نتدارك النقص في هذا البحث بفضل ما يقدّمه إلينا الأساتذة الأفاضل من ملاحظات نفيد منها نحن ومَن معنا.

وما توفيقي إلاّ بالله العليّ القدير نعم المولى ونعم النصير.

في:

مدخل تاريخي

مدخل تاريخي

حقيقة اللّغة ووظيفتها

اللّغة ظاهرة إنسانيّة؛ لأنها تتعلق بالنّوع البشري، وهي تختلف عن نظم الاتّصال الأخرى كلغة الإشارة ولغة الحيوان..وذلك أنّ « اللّغة الإنسانية نظام مركّب معقّد من الرّموز»"[1]"، وهي قديمة قدم المجتمع الانساني.

وهي ظاهرة اجتماعية، لأنّها تعكس حياة مجتمعها النّاطق بها، فترقى برقيّه، وتنحطّ بانحطاطه، وهي في ذلك كلّه تؤدّي وظيفة التّبليغ، والتّخاطب، والتّواصل بين أفراد المجتمع. وتعدّ اللّغة كذلك ظاهرة صوتيّة لأنّها« أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»"[2]"، قبل أن تتحوّل إلى رموز مرسومة، أو منقوشة، أو مكتوبة.

إنّ الممحّص لهذا التّعريف الوجيز للّغة يجده يبرز جانبين أساسيّين هما: طبيعة اللّغة، ووظيفتها. فحقيقة اللّغة كما بيّنها ابن جني (ت392هـ) مقصورة على (الأصوات) قبل أن يتمّ تمثيلها عن طريق الكتابة أو الرّموز.

أمّا من حيث الوظيفة فتؤدّي اللّغة وظيفة التّعبير عن أفكار، ومشاعر، وطباع النّاطق بها. وهذا ما هو جليّ من ظاهر القول(يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم). بيد أنّه عند الإمعان الدّقيق لمفردات القول وما توحي إليه، ألفينا لها وظيفة أخرى قصدها ابن جني، و هي: الدّور

---

1 -محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، ص11، مط: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة)، 1998.

2 - ابن جني، الخصائص، ج1، ص87، ت: عبد الحميد هنداوي، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1.

الّذي تلعبه اللّغة في الحيا الاجتماعيّة، وقد استبانت من خلال كلمة(القوم) التي دلّت على المجتمع.

وعليه، فإنّ اللّغة فعّالة وضروريّة في حياة الفرد، والمجتمع؛ بحيث تُمكّن الفرد من التّعبير عن أفكاره، وأحاسيسه، وميوله، وحاجيّاته، ورغباته، ومشاعره كما هي فعّالة في المجتمع أيضا، لأنّها أداة للتّفاهم، والتّخاطب، والتّواصل بين أفراد المجتمع.

علاقة المفهوم بالمصطلح

تعتبر قضيّة المفهوم والمصطلح من بين القضايا الهامّة، والشّائكة الّتي استقطبت أذهان الدّارسين في مختلف الميادين، والتّخصّصات؛ إذ لا يزال البعض يعاني من مشكل الخلط، واللاّتمييز، بين المفهوم والمصطلح؛ حيث يشهد العالم اليوم زيادة في حجم المعرفة، وزيادة في الاحتياجات العلميّة في شتى المجالات. ومن أجل استجلاء العلاقة الكامنة الّتي تربط المفهوم بالمصطلح حريّ بنا أن نبيّن خصائص ومميّزات كلّ من المفهوم والمصطلح على حدة.

إنّ المفهوم كلمة توحي بعدّة معان،يمكن لكلّ مستمع أن يتّخذ منها موقفا يناسبه،وهي كلمة عامّة يمكن لها أن تتحدّد وتتخصّص في إطار المصطلح فيصير المصطلح معبّرا عن المفهوم.

وقد تبنّت المدارس المصطلحيّة المتأثّرة بيوجين فيستر، واللّسانيّات الجرمانيّة تعريفا دقيقا، ومستقرا للمفهوم في عام 1968 على أنّه«تمثيل ذهنيّ يستخدم لتصنيف أفراد العالم الخارجي أو الدّاخلي عن طريق التّجريد بصورة اعتباطيّة»"[1]"، كما يتّسم بطابعه التجريدي"[1]"، وبالسّعة، والعموم.

---

1 -بلقندوز الهواري، مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات العربية الراهنة، مقارنة نسقية، ص101، جامعة وهران- السانيا، 2000-2001.

أمّا المصطلح، فهي كلمة اخصُّ معناها بموجود واحد لايختلف في معناه، ووظيفته اثنان. ولا يكون إلاّ باتّفاق أهل الاختصاص المعنيّين على دلالته الدّقيقة. والمصطلح من حيث وجوده« يعد نتاج العلم وخلاصة حقائقه، ومعلم تمايزه عن غيره، وتخصصه بذاته»"[2]"، فهو ما دلّ على معنى، واخصُّ به في غير ما وُضِع له أصلا باتفاق عليه.

ومن خصائصه أيضا، الدقة، والوضوح، والإيحاء، وأشار إليه بعض الدّارسين بأنّه« تسميّة فنيّة تتوقّف على دقّتها ووضوحها معرفة الأشياء والظواهر بسيطها ومركّبها، ثابتها ومتغيّرها»"[3]"، ويعدّ المصطلح لغة واصفة جوهرها المفاهيم.

ويتضح مما سبق، أنّ علاقة المصطلح بالمفهوم هي علاقة عامة؛ ذلك أنّ الدّلالة العامة للمفهوم تنتقل بشكل اعتباطي إلى دلالة خاصّة معيّنة، وفي حقل معرفي معيّن بفعل المصطلح، الّذي يقوم بوظيفة ضبط، وتأطير العناصر المفهوميّة الّتي شكّلته.

علم الأصوات اللّغويّة في أثر الدّارسين العرب قبل ابن معطي(ت628هـ):

الصّوت ظاهرة طبيعيّة؛ يحدث نتيجة اتصال جسم بجسم آخر، أو عند انفصالهما، أو عند احتكاكهما،وقد عرّفه ابن سينا (ت428هـ) بأنّه:«

---

1 - ينتزع وجوده من فعل الفكر ونشاطه.

2 - صفية مطهري، أزمة الفطام المصطلح اللساني العربي(مقال)....، ص136، جامعة وهران.

3 - بلقندوز الهواري، مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات العربية الراهنة، ص103، عن: إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب،1988، عدد خاص، ص38.

تموّج الهواء دفعة وبقوّة وبسرعة من أيّ سبب كان»"[1]"، فهو إذن ظاهرة فيزيائية، سمعية.

والصّوت الإنسانيّ هو«ككلّ الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان»"[2]". وأنّ هذا الصّوت الّذي يحدثه جهاز النّطق البشري للتّعبير عمّا يريد، هو موضوع "علم الأصوات اللّغويّة"، ويتمثّل مجاله في الوحدات الصّوتيّة الّتي تتألّف منها الكلمة[3]. ولقد حدّده علماء اللّغة المحدثون بفرعين رئيسين، وهما: علم الأصوات(الفوناتيك)، وعلم الأصوات الوظيفي(الفونولوجيا).

فأمّا علم الأصوات(الفوناتيك) فيدرس الأصوات اللّغويّة؛ من حيث مخارجها، وكيفيّة حدوثها، إلى جانب التّعرضّ للصّفات الّتي يمتاز بها كلّ صوت. ويعرّف بأنّه:« العلم الذي ينظر في الأصوات في حدّ ذاتها ويدرس صفاتها من حيث إخراجها بل وحتّى من حيث سماعها»"[4]"، ومعنى هذا، أنّه يقوم أساسا على تحديد مخارج الأصوات، وبيان الصفات الصوتية التي تشكّل الصوت.

وأمّا علم الأصوات الوظيفي(الفونولوجيا) فيقوم بدراسة وظيفة الصّوت في اللّغة، والكشف عن مدى تأثّر الأصوات بعضها ببعض في تركيبها في الجمل وفي اللّغة، وقد عرّفه كانتينو بأنّه:« علم يدرس

---

1 - ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص8، مط: مكتبة الكليّات الأزهرية، 1398 هـ-1978م.

2 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص10، مط: محمد عبد الكريم حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:1، 1981م.

3 -(ينظر) مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، ص26 مط: عالم الكتب، بيروت- لبنان،ط:1.

4 - (ينظر) مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، ص26 ، عن: كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص17، ترجمة: صالح القرمادي، مط: الجامعة التونسية،1961م.

الأصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللّغوي»"[1]"، وذلك بالكشف عن مدى تأثّر الأصوات بعضها ببعض عند تركيبها في الكلمات، والجمل.

ولم تكن الدّراسات الصّوتيّة وليدة هذا العصر، وإنّما قد استرعت اهتمام علماء اللّغة القدامى من الشّعوب المختلفة؛ كاليونان، والرّومان، والهنود، إلى جانب علماء العربيّة الّذين أولوا ولاية شديدة بهذا العلم على اختلاف مشاربهم، واهتماماتهم.

وكما ورد في قصّة النّحو العربيّ، فإنّ بداية الاهتمام بالأصوات اللّغويّة كان من أجل ضبط القرآن الكريم بالنّقط، ليسلم من كلّ زلل، وفي ذلك يقول ابن خلدون:«فلمّا جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الّذي كان في أيدي الأمم والدّول، وخالطوا العجم، تغيّرت الملكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات الّتي للمتعرّبين، والسّمع أبو الملكات اللّسانيّة، ففسدت بما ألقى إليها ممّا يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السّمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم»"[2]"، فحاولوا وضع معايير ثابتة تضبط الألسنة، وتحافظ على استقامتها.

قام نحاة العربية بدراسة الأصوات العربيّة في وقت مبكّر، ومع أنّ مصطلح "الصّوتيّات" لم يكن معروفا وقتئذ لانعدام الدّرس الصّوتيّ المستقل، فإنّهم خصّصوا أبوابا مستقلّة في كتبهم لهذه الدّراسة، وقد حقّقوا في ذلك نتائج قيّمة في مجال الدّراسة الصّوتيّة ضارعت إلى حدّ كبير ما توصّلت إليه الدراسة الصّوتيّة المعاصرة، على الرّغم من ندرة الإمكانيّات والوسائل، وبساطة الطّرق والمناهج المتّبعة. وتعود نشأة الدّرس اللّغوي عامّة إلى نهاية النّصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري،

---

1 - مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، ص26 ، عن: كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص17.

2 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص604، ط: دار الجيل- بيروت.

ثمّ قطع الدرس اللّغوي بعد ذلك مراحلا، وأطوارا حتى اكتمل واستوى"[1]". وازدهر الدرس الصوتي العربي القديم في حضن القراءات القرآنية، واللهجات العربية المختلفة.

وقد تمثّلت بداية التفكير اللغوي العربي في جهود أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) في محاولته نقط المصحف الشريف، قال« أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة(يعني التنوين) فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على المصحف»"[2]". ويستفاد من هذا النص، أنّ عمل أبي الأسود كان من أجل ضبط المصحف الشّريف، وقد قصره على أواخر الكلم؛ فميّز بذلك بين المنصوبات والمرفوعات والمجرورات.

وبذلك يكون أبو الأسود قد اكتشف عن طريق ملاحظة حركة الفم (الشّفتين) الحركات الثلاث، والتّنوين. فأمّا الفتحة فمن انفتاح الشفتين، وقد مثّلها بنقطة فوق الحرف المفتوح، وأمّا الكسرة فمن انكسار الشّفتين، وهي نقطة تحت الحرف المكسور، وأمّا الضمّة فمن انضمام الشّفتين واستدارتهما، وهي نقطة توضع أمام الحرف المضموم، وجعل نقطتين مكان التّنوين.

وعليه، يعدّ عمل أبي الأسود دراسة صوتيّة، فيزيولوجيّة؛ لأنّه اعتمد عند وضعه للعلامات الإعرابيّة على ملاحظة الأوضاع التي يتّخذها الفم أثناء النّطق بالحرف المتحرّك. ممّا يفضي إلى أنّ بداية الدّراسة اللّغويّة العربيّة بدأت صوتيّة مع أبي الأسود الدّؤلي.

---

1 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص7، جامعة وهران- السانية.

2 - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج3، ص156 ،ط: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستا توماس وشركاه.

ثمّ جاء من بعد أبي الأسود تلاميذه من قرّاء الذّكر الحكيم، الّذين أكملوا صنيعه، فقاموا بتعميم الشّكل على باقي حروف الكلمة خلاف أستاذهم الّذي قصره على أواخر الكلم. وأضافوا إلى ذلك عملا جليلا هو وضع نقط الإعجام؛ حيث استشكل على النّاس التّمييز بين الحروف بعضها من بعض.وممّا ذكره الرّوّاة«أنّ الحجّاج في ولايته على العراق (74-95هـ) أمر نصر بن عاصم، ويحي بن يعمر بإعجام حروف المصحف بعضها من بعض»"[1]. ومن ثمّ يعتبر عملهما دراسة صوتيّة؛ لأنّهما فرّقا بين الحروف بعضها من بعض، وبذلك تحدّد لكلّ حرف وجوده الصّوتي وتحقّق"[2]".

ثمّ أتى بعد نصر بن عاصم(ت89هـ)، ويحي بن يعمر (ت129هـ) عالم آخر كان له أثر في الدّرس الصّوتي،هو عبد اللهّ بن أبي إسحاق(ت117هـ)، ذكره أبو الطيّب اللّغوي في قوله:فرّع عبد اللهّ بن أبي إسحاق النّحو وقام وتكلّم في الهمز، حتّى عمل فيه كتاب ممّا أملاه»"[3]". ويستفاد من النّص أنّ أبا إسحاق قد اهتمّ بالدّرس الصّوتيّ؛ بحيث تحدّث عن الهمز، والهمز من الموضوعات الصوتية الطّويلة والهامّة، ومن ثمّ يبرز عمل أبي إسحاق في ميدان الدّراسة الصّوتيّة.

يضاف إلى هؤلاء العلماء المتقدّم ذكرهم، عالمان جليلان، هما:عيسى بن عمر (ت145هـ)، وعمرو بن العلاء (ت154هـ)، وقد كان هذان الرّجلان من قرّاء الذّكر الحكيم أيضا، ومن المهتمّين باللّغة وعلومها.

ثمّ يأتي بعد هؤلاء الرّجال الّذين هم بعض من جماعة أرست قواعد الدّرس اللغوي العربيّ ، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)،

1 ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص17، ط: دار المعارف بمصر،ط: 2.

2 ـ (ينظر)مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص13، جامعة وهران- السانية.

3 ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص23، ط: دار المعارف بمصر،ط: 2.

فيعمّق الدّراسة الصّوتيّة. ويمتدّ عمل الخليل في مختلف مجالات الدّراسة اللّغويّة؛ فهو كما يقول الروّاة«مسؤول عن أوّل معجم عربيّ، أعني كتاب العين، وهو واضع علم العروض وأوزان الشّعر وهو المؤلّف في الموسيقى، أخيرا وليس آخرا هو صاحب المباحث المستفيضة الّتي جاءت في كتاب سيبويه»"[1]". كما أنّه كان أوّل من وضع رموز للشّكل أو الحركات الّتي نعرفها اليوم في ضبط الكتابة العربيّة"[2]"،وينحصر عمل الخليل في الدّرس الصّوتي في النّقاط الآتية:

قام الخليل بترتيب مادّة معجمه(العين) ترتيبا صوتيا،فتحدّث في مقدّمة معجمه عن أصوات اللّغة العربيّة، وصنّفها حسب موضع النّطق؛ فبدأ من أقصاها في الحلق مقدّما إلى الشّفتين، وعلى ضوئها رتّب مادّة معجمه. فالخليل ولا شك كان مرهف السمع،دقيق الحسّ بالأصوات، وطريقة ذوقه للأصوات اللّغويّة هو أنّه«كان يفتح فاه بالألف ثمّ يُظهر الحرف بنحو(أَتْ أَخْ أَعْ أَغْ) فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب ثمّ ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم»"[3]"، وبذلك يتضح صوت الحرف بالوقوف عليه ساكنا.

هذا، إلى جانب حديثه بإيجاز عن صفات الحروف، فقد« وصف الأجراس الصّوتيّة للحروف من همس وجهر وشدّة ورخاوة واستعلاء واستفال، ممّا يتناثر في صحف كتاب سيبويه، وجعله ذلك يقف عند أصوات الحركات وما يداخلها من إمالة وروم وإشمام»"[4]"، وتعدّ هذه الصفات قليلة باعتبار عددها عند غيره ممّن جاء بعده، كسيبويه.

---

1 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص88.

2 ـ رمضان عبد التواب، ثلاث كتب في الحروف، مط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:1.

3 ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص52، ت:عبد الله درويش، مط: العاني-بغداد، 1386 -1967م.

4ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص33.

وقد اهتدى الخليل إلى تقسيم الحروف العربيّة وفق مواضع حدوثها إلى قسمين، هما: قسم الحروف الصّحاح(الصّوامت)، وهي عنده خمسة وعشرون حرفا، وقسم الحروف الهوائيّة(الصّوائت)، وهي أربعة، مثلما يتّضح من قوله: «في العربيّة تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائيّة وهي: الواو والياء والألف الليّنة والهمزة»"[1]. وهذا التّقسيم هو ما سار عليه من جاء بعد الخليل مع اختلاف في التّسميّة لكلّ قسم.

كما عرف الخليل الإيقاع والموسيقى والعروض«وأوّل ما يلاحظ من ذلك اكتشافه علم العروض اكتشافا ليس له سابقة ولا تدانيه لاحقة، إذ استطاع أن يرسمه بكلّ أوزانه وحدوده وتفاعيله وتفاريعه، غير مبق لما جاءوا بعده شيئا يضيفوه إليه، وهو يحمل في تضاعيفه ما يشهد بتمثّله تمثّلا رائعا للنّغم وعلم الإيقاع ومواضعه»"[2]. وعلم العروض يقترب من الموسيقى باعتباره موسيقى الألفاظ المنطوقة المسموعة، وهو مقياس التّردّد الصّوتي في الأداء اللّغوي"[3]، الذي كان من اختراعه.

كما اهتمّ الخليل بإصلاح أشكال الحركات العربية وتحسينها؛ فهو الّذي اخترع علامات الضّبط الّتي لا تزال إلى اليوم نستعملها، إذ« أخذ من حروف المدّ صورها مصغّرة للدّلالة عليها، فالضمّة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلاّ تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء متّصلة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه»"[4]. هذا في إصلاح أشكال الحركات العربية.

---

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص64، تعبد الله درويش.

2 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص31.

3 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص17.

4- شوقي ضيف،المدارس النحوية،ص33.

ولم يتوقّف عمل الخليل عند حدّ الإصلاح، بل تجاوزه إلى الاختراع؛ فوضع علامات للهمز والتّشديد والرّوم والإشمام"[1]". وكان هذا الاختراع لإتمام طريقة الأداء، وتنويع الأصوات، وتلوينها"[2]". هذا مختصر عمل الخليل في الميدان الصوتي.

ثمّ يخطو سيبويه(ت180هـ) خطوة أخرى بدراسة الأصوات، تحاول أن تُكمل ما بدأه أستاذه الخليل في المجال الصّوتي،فخصّص أبوابا من كتابه للمباحث الصّوتيّة، وتحدّث عن كثير من القضايا الصوتيّة في ثنايا الأبواب الأخرى.

لقد أورد سيبوبه تصنيفه للأصوات العربيّة، ووصفه لها في باب الإدغام، ويجمع أصوات العربية في 42 صوتا؛ 29 صوتا أصليا أو أساسيا، و13 صوتا فرعيا أو ثانويا، وقسّم هذه الأخيرة على مجموعتين، وهي: مجموعة الأصوات المستحسنة ومجموعة الأصوات المستقبحة.

فأمّا الحروف المستحسنة فحدّدها قائلا:« وتكون خمسة وثلاثين حرفا هنّ فروع، وأصلها من التّسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم»"[3]". وبذلك يكون عدد الحروف المستحسنة وفق تحديد سيبويه لها سبعة أصوات.

وأمّا الحروف المستقبحة فعرّفها قائلا:« وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيّته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا في الشّعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد

1 -القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج3، ص157.
2 - مكي درار،الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه،ص23.
3- سيبويه، الكتاب، ج4، ص572، ت: إميل بديع، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1، 1420هـ- 1999م.

الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء»"[1]. وهي أقلّ ورودا، واستحسانا من السّتّة المتقدِّم ذكرها.

كما قسّم مخارج الحروف العربية إلى ستة عشر مخرجا، بخلاف أستاذه (الخليل) الذي قصرها على ثمانية مخارج، وبيّن الصّفات التي يمتاز بها كلّ صوت الأساسيّة منها، والثّانويّة. ويعدّ تصنيف سيبويه للأصوات العربيّة ووصفه لها دقيق كلّ الدقّة بالنّسبة إلى عصره.

وتناول سيبويه بالدّرس ما يطرأ على بنية الكلمة العربية من تغيّرات ممّا قد تفضي به إلى: الإدغام، أوالإبدال، أوالإعلال، أوالقلب وهذا ما يخصّ الجانب الثاني من علم الأصوات اللّغويّة وهو علم الأصوات الوظيفي.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر أبو الفتح ابن جني(ت392هـ)، وقد أفرد كتابا بكامله لدراسة الأصوات العربيّة سمّاه" سرّ صناعة الإعراب"،« وقصد بهذا الاسم أنّه يكشف أسرار تآلف الحروف أو الأصوات في العربية وقصد بالصناعة هنا ما في تآلف الأصوات من حُسن وقُبح وهي صناعة ليست كصناعة الكيميائيين في عصره وما قبله لأنها صناعة الإعراب الذي تتصف به العربية»"[2]. وكان الجديد الذي امتازت به هذه الدراسة عما سبقها في هذا الميدان، هو تشبيه الحلق بالناي وتشبيه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات المزمار"[3]، نظرة تكشف عن شخصية الباحث القوية واعتماده على قدراته الخاصة، في مقدمتها دقة الملاحظة.

---

1 - نفسه، ج4، ص572.

2 - محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص45، ط: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة،ط:1، 1396هـ-1986م.

3 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص8،ت: حسن هنداوي، مط: دار القلم-دمشق،ط:2، 1413هـ-1993م.

وفيه ورد مصطلح" علم الأصوات" للدلالة على العلم المعروف لأول مرة،وهذه إشارة واضحة على أنّ الدراسة الصوتية في عهده في القرن الرابع الهجري، كانت تلقى العناية اللائقة، فأخذ يُنظَر إليها على أنها دراسة مستقلة لا تقلّ شأنا عن النحو، والصرف، والبلاغة.

وجادت كتب الطب، والتجويد، والبلاغة، واللغة فيما بعد بكثير من الموضوعات الصوتيّة، منها: كتاب" أسباب حدوث الحروف" لابن سينا (ت428هـ)، و" الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" لمكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ)، و" سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجي(ت466هـ)، و"مخارج الحروف وصفاتها" لابن الطحان(ت560هـ)، و"مفتاح العلوم" للسكاكي (ت626هـ).

وقد خصّصوا أبوابا لدراسة الأصوات العربيّة، فتكلّموا عن الجهاز النّطقي، وصنّفوا الحروف حسب مواضع حدوثها، وبيّنوا صفاتها، وذكروا الحروف الفرعيّة؛ المستحسنة منها، والمستقبحة على مذهب سيبويه، وتكلّموا في الإبدال، والإدغام، والإعلال، والإمالة، والإشمام، والرّوم...، وغيرها من الموضوعات الصوتيّة.

وفي هذه الفترة ظهر في الجزائر لغويّ عمل على اختصار ما وصل إليه سابقوه، في منظومة تعدّ الأولى في التّراث العربي من حيث منهجها،والرّجل هو يحي بن عبد النّور بن معطي (ت628هـ).
ابن معطي والدرّة الألفيّة:
- **ابن معطي(ت628هـ):** هو يحي بن معطي بن عبد النور، الزواوي، الجزائري، كنيته أبو الحسن، ولقبه زين الدّين، واشتهر باسم ابن معطي. وينسب إلى زواوة؛ وهي« قبيلة كبيرة بظاهرة بجاية من أعمال إفريقيّة ذات أبطان وأفخاذ.»"[1]. ولد سنة أربع وستّين وخمسمائة

1- ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، ص197، ت- د: إحسان عباس، ط: دار الثقافة، بيروت- لبنان.

للهجرة(564هـ) **بالجزائر**، بظاهرة بجاية؛ حيث كانت تسكن قبيلته"[1]"، وفيها تلقّى العلم وأبدع فيه.

أخذ العلم على مشايخ بلده، سمع من ابن عساكر(ت600هـ)، **وتتلمذ على العالم الجزولي**(ت606هـ) الّذي أقام بمدينة بجاية، وأقرأ العربيّة **مدّة بدمشق ثمّ بمصر**، وتصدّر بالجامع العتيق بمصر **لإقراء الأدب**. فكانت وفاته بالقاهرة في **ذي القعدة من عام** 628هـ"[2]".

لقد نشأ ابن معطي في عهد (الدّولة الموحّديّة) شهد فطاحل **العلماء؛ كالجزولي**، والسهيلي، والشلوبين، **وابن خروف**، **وابن عصفور**، **وابن مضاء**، **وابن مالك**، وغيرهم، **فانتشرت المدارس**، **وكثر الطلاّب**، **وتجمّع العلماء** هنا وهناك يعلّمون ويتعلّمون"[3]". **وبذلك تكون** الحقبة الزّمنيّة الّتي عاشها ابن معطي فترة علم وثقافة وإبداع ونشاط.

ويحتلّ ابن معطي منزلة مرموقة في التراث العربي الإسلامي، سواء في مجال اللغة، أو في مجال الأدب، ويمكن تلخيص الوصف لهذه المنزلة في مقولة السيوطي التي يصف فيها ابن معطي بأنّه:« **كان إماما** مبرّزا في العربيّة، **وشاعرا محسنا**، وكان يحفظ شعرا كثيرا وأشياء كثيرة ومن جملة محفوظاته: **كتاب الصّحاح**»"[4]". **وتدلّ** التأليف الكثيرة، المتنوّعة على سعة علمه وجودة قريحته، **فممّا ترك**:

1- الألفيّة **أو** "الدرّة الألفيّة" **في النحو**.

2- **حواش على أصول ابن السرّاج**.

---

1 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص88، **مط**: دار الثقافة، بيروت، **ط**:4.

2 - (ينظر)، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5-6، ص129، ت: **لجنة** إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، مط: منشورات دار الآفاق الجديدة.

3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج1، ص88، **مط**: مكتبة الخريجي، **ط**:1، 1405هـ-1985م.

4 - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مج:2، ص344، ت: **محمد أبو** الفضل ابراهيم، مط: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

3- ديوان خطب.
4- ديوان شعر.
5- شرح أبيات سيبويه وهي نظم.
6- شرح المقدّمة الجزريّة في النّحو.
7- شرح الجمل في النّحو.
8- العقود والقوانين في النّحو.
9- قصيدة في العروض.
10- قصيدة في القراءات القرآنيّة.
11- المثلّث في اللّغة.
12- نظم كتاب الجمهرة في اللّغة لابن دريد.
13- نظم كتاب الصّحاح في اللّغة للجوهري لم يكمله بسبب وفاته.
14- البديع في صناعة الشّعر.
15- الفصول الخمسون"[1]". وهذا مجمل التصانيف التي خلّفها ابن معطي.

- *" الدرّة الألفيّة"*: هي من أشهر مصنّفات ابن معطي، وقد أطلق عليها اسم" الدرّة الألفيّة"،وهي أوّل نظم سمّي بذلك" الألفيّة"، عدّة أبياتها 1020 بيتا، انتهى منها سنة595هـ، وهي منظومة من بحرين بعضها من السّريع وبعضها من الرّجز، استهلّها بقوله:

« يقول راجي ربّه الغفور يحي بن معطي بن عبد النّور»"[2]".

ونستطيع أن نتتبّع ألفية ابن معطي عن النحو العربي على النسق الذي أورده مؤلفه، إذ أنه يبدأ بالنحو ثم يعرض للصرف، وينهي الجزء الثاني من الكتاب بوصف أصوات العربية، وهو بهذا منطقي في ترتيبه. وقد تعاقب على الألفية علماء كثر تناولوها بالشّرح والدّرس، فمن الّذين اهتمّوا بشرحها:

1) أحمد بن الحسين بن معالي بن منصور بن الخبّاز الأربلي الموصلي النّحوي الضرير (ت637هـ).

---

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج1، ص31-33.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص9، ط: العاني- بغداد، 1410هـ- 1989م.

2) عمر بن المظفّر محمد زين الدّين بن الوردي الحلبي الشّافعي (ت649هـ)، واسم شرحه:" ضوء الدرّة".
3) عز الدّين أبو قرشت الحسن بن عبد المجيد بن الحسن، ويعرف بسعفص المراغي النحوي (ت666هـ).
4) الأندلسي الشريشي المالكي (ت685هـ)، واسم هذا الشّرح: "التّعليقات الوفيّة بشرح الدرّة الألفيّة"، وهو شرح كبير في مجلّدين وموجود الآن بالمكتبة التيموريّة بدار الكتب المصريّة.
5) عز الدّين أبو الفضل عبد العزيز بن جمعة بن زيد القوّاس الموصلي (ت692هـ)، وهو ما نحن بصدد تناوله بالدّراسة في ثنايا الرّسالة.
6) محمد بن يعقوب بن إلياس الدّمشقي، بدر الدّين المعروف بابن النحويّة (ت718هـ).
7) أحمد بن محمد بن عبد الوالي جبارة المقسي المرداوي الصالحي شهاب الدّين (ت728هـ).
8) عبد المطّلب بن المرتضى الحسيني الشريف الجزري (ت735هـ).
9) أحمد بن يوسف بن مالك الرّعيني الألبيري ثمّ الغرناطي أبو جعفر الأندلسي (ت779هـ).
10) محمد بن أحمد بن علي جابر الأندلسي الهواري المالكي، أبو عبد اللهّ الأعمى النحوي (ت780هـ).
11) محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي أكمل الدّين (ت786هـ).
12) يوسف بن الحسن بن محمد أبو الحسن الحموي الشّافعي (ت809هـ).
13) تقيّ الدّين أبو إسحاق بإبراهيم بن عبد اللهّ بن إبراهيم بن ثابت الطّائي"[1]".

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج1، ص67.

فقد حظيت الألفيّة بمكانة عالية عند العلماء؛ حيث أقبل النّاس على قراءتها وحفظها، **وعُني** العلماء بشرحها ودراستها، **كابن الخبّاز**(ت637هـ)، **وابن الوردي** (ت649هـ)، والشريشي (ت685هـ)، **كما** انتحى نحوها بعض العلماء **مثل: ابن مالك** (ت672هـ)، والسيوطي(ت911هـ).

وأشاد معاصروه بمقُدرته الفنيّة العاليّة وشهدوا له بهذا الإ**بداع**، فقد وصف ابن الوردي ألفيّته **قائلا**:« وهي شاهدة لناظمها **بإصابة الصّواب**، والتّفنّن في الأدب حتى كأنّ سيبويه ذا الإعراب قال له:يا يحي خذ الكتاب»"[1]".

وما يثير الحيرة والاستغراب في هذا المقام، هو لماذا لم يُكتب لألفية ابن معطي الذيوع والشهرة كما هو الحال بالنسبة لألفية ابن مالك؟! ولماذا نحن أبناء وطنه نسمع عن ألفية ابن مالك ونُكلَّف بحفظها ودرسها ولا نسمع حتى عن ابن معطي؟! **على الرغم من إشادة العلماء** بألفيته، وثنائهم على مقدُرته الفنية العالية، وبسداد فكره وقوة قريحته. **ولماذا** هذا الغموض والتغييب لهذا العالم الفذ الذي بلغ شأوا عظيما في عصر شهد جهابذة العلماء مثل: ابن يعيش، وابن عصفور، وابن مالك، وابن الخباز، وابن الوردي، والشلوبين، وابن مضاء؟!!!

1 - تاريخ ابن الوردي، ج2، ص157.

الفصل الأول

المفاهيم الصوتية الفيزيولوحية العضوية

تمهيد

تعتمد عملية إنتاج الصوت اللغوي على تيار الهواء الصاعد من الرئتين بواسطة القصبة الهوائية، المندفع في الحنجرة، المارِّ بالحلق، النَّافذ من تجاويف الفم والأنف. وقد اصطلح اللغويون على تسمية الأعضاء التي تشترك في عملية النطق باسم" أعضاء النطق"، أو" الجهاز الصوتي"، أو" الجهاز النطقي".

ويتألّف هذا الجهاز من ثلاثة أقسام رئيسة، وهي:« الرئتين، وهما منفاخ الهواء، ومن القصبة الهوائية، التي هي كالأنبوب الصوتي، والحبال الصوتية، التي باهتزازها يحدث الصوت، ثم من تجويف الحلق أو الحنجرة، ومن تجويف الفم والخياشيم، وهي كلها أشبه بانتفاخات أو أجواف تلي الأنبوب الصوتي تفصل بينهما حواجز متحركة هي اللهاة واللسان، وينتهي الجهاز بالشفتين»"[1]". وهو كل متكامل؛ بحيث إذا تعطّل عضو أو أصيب بمكروه استحال الكلام الحقيقي وبدا تلعثم في النطق.

ويتّفق علماء اللغة القدماء والمحدثون على أنّ عملية إنتاج الأصوات اللغوية تتمّ بواسطة أعضاء النطق الإنسانية.بيْد أنّ قدامى العربية لم يخصّصوا أبوابا أو فصولا لوصف أعضاء الجهاز النطقي، وإنّما كلّ ما جاءوا به من إشارات وذكرٍ لهذه الأعضاء في باب الإدغام ينمّ عن مدى إدراكهم وتصوّرهم لأعضاء النطق، ومعرفتهم الدقيقة بوظائفها وكيفية إصدارها للأصوات اللغوية.

وقد استعمل ابن معطي(ت628هـ) في حديث الإدغام جملة من المصطلحات التي لها صلة بالمخارج، إذ أشار إلى الأعضاء التي يتمّ

---

1 ـ محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص44، مط: دار الفكر_ بيروت، ط: 06، 1395هـ- 1975م.

عندها تشكّل الأصوات، وهي: الحلق، واللهاة، والحنك الأعلى، واللسان، والشفتان"[1]".لا شكّ أنّ كلّ تلك التسميات مصطلحات في حدّ ذاتها. وفيما يأتي حديث عن هذه الاصطلاحات بشيء من التفصيل.

الحلْق:

الحلْق لغة« مساغ الطعام والشراب في المرىء»"[2]". وأما مفهومه عند اللغويين العرب القدماء، فهو الجزء الممتدّ من الحنجرة إلى اللهاة، ويستغلّ في إنتاج مجموعة من الأصوات، كما«يقوم بدور الموزِّع أي مفترق طريقي المرىء والقصبة الهوائية، فالهواء الذي يدخل في الأنف والفم يجتاز الحلق ويدخل في القصبة الهوائية والرئتين ثمّ يعود أدراجه في القناة نفسها»"[3]". ومعنى هذا، أنّه مخرج لأصوات لغوية خاصة، ويستغلّ كفراغ رنّان يضخم الأصوات بعد صدورها من الحنجرة.

وقد استخدم ابن معطي لفظ" الحلقية" في حديثه عن مخارج الحروف، حيث قال:
«حلْقيّةٌ لهويّةٌ شجريّةٌ وأسليّة مع النِّطعيّة»"[4]"، وأورده في موضع آخر وهو يتحدّث عن أبنية المصادر والأفعال من ذلك قوله:
«فعَل يفعَل بحرف الحلْق تفتح مستقبله في النطق»"[5]".ونستشفّ من النصين السابقين، أنّ صاحب الألفية تحدّث عن الحلق، ويعني به الجزء الممتد من الحنجرة إلى اللهاة، وقد استعمل لفظ" الحلقية" ليدلّ به على الأصوات التي تخرج من الحلق. ويعلّل ابن جمعة توظيف ابن معطي

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، مط: العاني- بغداد، 1410هـ- 1989م.
2 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص137، مادة(حلف- حلق)، ع: 2، س: 45، مط: دار صادر، بيروت- لبنان، ط: 1، 1997م.
3 - بسام بركة، علم الأصوات العام، ص67، مط: مركز الإنماء القومي- لبنان- رأس بيروت- المنارة.
4 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:11.
5 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص88، س: 17.

لهذا المصطلح في النص الآتي فقال:« حلقية إشارة إلى حروف الحلق عدا الألف»"[1]".ومفاد هذا الحديث أنّ الحلقية هي الأصوات التي تخرج من الحلق.

ومن هنا، فإنّ لفظ" الحلقية" عند ابن معطي هي تسميّة صوتية عضوية، فيزيولوجية اختُصّت في الدلالة على أصوات(الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) نسبة إلى موضع حدوثها، الحلق. وهو في توظيفه لهذا الاصطلاح لم يكن مجدِّدا وإنّما أورده بنفس اللفظ والدلالة مثلما استعمله غيره من قبل.

وفي هذا يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ):« فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق»"[2]". ويظهر من عرض الخليل للأصوات الحلقية غياب الهمزة في هذا النص، غير أنّه ذكر في موضع آخر مخرج الهمزة من أقصى الحلق"[3]"، مع(الهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء).

وقد علّل غالب فاضل المطلبي هذا الخلط حيث يرى بأنّه جاء من تحريف أو تصحيف فقال:«ويبدو لي أنّ هذا التصحيف قد جاء من جرّاء فهم خطأ لكلام الخليل الذي يشير فيهإلى أنّ هناك أربعة أصوات معتلّة في العربية هي الألف والواو والياء...وهو أمر يسوِّغ له إدخال الهمزة في هذه الطائفة من الأصوات فمسلكها في العربية من قبل

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س: 14، مط: مكتبة الخريجي- القاهرة، ط: 1، 1405هـ- 1985م.

2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص65، ت: عبد الله درويش، مط: العاني- بغداد.

3 -الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص57.

الاعتلال والانقلاب والسقوط مشابه لمسلك الألف والواو والياء في كثير الأحيان»"[1]".ومعنى هذا أنّ الهمزة عند الخليل من أصوات الحلق.

وأمّا تصنيفها ضمن سلسلة أصوات المد فيعود كما أشار صاحب النص إلى فهم خطأ لكلام الخليل، لأنّ صاحب "العين" حين ذكرها معيّة حروف المد نظر إليها نظرة صرفية من حيث الاعتلال والانقلاب والسقوط.

بينما جعل سيبويه(ت180هـ) هذه الأصوات(ء-ع-ح-غ-خ) مضيفا إليها صوت الألف في ثلاثة مخارج وفق أقسام الحلق الثلاثة حدّدها في قوله:« فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء»"[2]". ووافقه في ذلك أكثر العلماء: كالمبرد، وابن جني، والزمخشري، وغيرهم"[3]".

وفي ضوء ما تقدّم، نستنتج أنّ ابن معطي قد أفاد من كلّ ما جاء به غيره، فأكّد ما ذهب إليه الخليل من قبل في تخصيص لفظ" الحلقية" للتعبير عن أصوات (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) عدا الألف الذي جعله سيبويه ضمن مجموعة الأصوات الحلقية. وهو تحديد ذكي، يتّفق والدقّة التي حرص عليها في كتابه؛ ذلك أنّه اعتبر الألف فيما يبدو من أصوات المد لا حيِّز له على مذهب الخليل.

---

1 -(باختصار)، غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ص16، مط: دار الحرية للطباعة- بغداد، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، 1984م.

2 -سيبويه، الكتاب، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط: 1، 1420هـ- 1999م.

3 -المبرد، المقتضب، مج1-2، ص223/ وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص47/ والزمخشري، المفصل، ص546.

وما يذكر لابن معطي من فضل هنا أنّه أجاد في توظيف هذا المصطلح، وأحسن في توزيع الأصوات في شيء من التوازن بينها، فقد توخّى دقة الإصابة، ومنحه ذلك درايته الحاذقة بالتمييز بين الأصوات. وما يسجّل هنا أنّ مصطلح الحلقية وأصواته سرى على ألسنة كثير من العلماء اللاحقين لدقة معناه ووضوحه، كابن الجزري(ت835هـ)"[1]"، هذا عند القدماء.

وأمّا بالنسبة للمعاصرين فالحلق عندهم هو المنطقة الواقعة بين الحنجرة وأقصى الفم، ويستغلّ في إنتاج صوتين اثنين فقط، وهما:(الحاء، والعين)"[2]". بينما جعله ابن معطي موضع نطق ستة أصوات كما سبق ذكرها. ومن ثمّة،نستنتج أنّ مفهوم الحلق عند صاحب الألفية أوسع وأشمل من تحديد المحدثين له، ويعود هذا الخلاف فيما يبدو إلى التقارب الشديد بين مخارج هذه الأصوات وتداخلها بحيث يصعب الفصل بينها.

اللّهاة:

اللهاة هي القسم الثاني من أقسام الجهاز النطقي عند ابن معطي، وهي الموضع الفاصل بين التجويف الحلقي والفموي، واللهاة« تركيب مخروطي الشكل، ذو حجم قابل للتغيير، ويتدلّى إلى أسفل من منتصف الحد السفلي للحنك الليّن في اتجاه المبلع»"[3]"، وأما وظيفتها فـ« تقوم اللهاة بوظائف حيوية وهامة عند البلع، حيث تغلق بحركتها البلعوم

---

1 -ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص28، ضبطه وعلّق عليه: أنس مهرة، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:1، 1418هـ- 1998م.

2 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص272/ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص111/ ومحمود السعران، علم اللغة، ص200.

3 - عبد القادر مرعي الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، ص42، مط: جامعة مؤتة، ط: 1، 1413هـ- 1993م,

الأنفي، فاصلة إيّاه عن البلعوم الفموي»"1". كما تعدّ من أعضاء النطق المتحركة بحيث تستغلّ في إنتاج بعض الأصوات اللغوية.

وقد أدرك ابن معطي هذا العضو وكان ذلك عبارة عن إشارات موجزة ولكنها دقيقة، تدلّ على معرفة عميقة بوظائف أعضاء النطق وكيفية إصدارها للأصوات اللغوية، ودلّل عليه مستخدما لفظ" اللهوية""2". وفي النص الآتي يتجلّى توظيف صاحب الألفية لهذا المصطلح، قال الشارح:« وقوله:لهوية إشارة إلى القاف والكاف لأنّ مبدأهما من اللهات"3" وهو ما بين الفم والحلق»"4". ونستنتج من كلام ابن جمعة، أنّ ابن معطي يستخدم لفظ" اللهوية" في الدلالة على صوتي (القاف والكاف) لخروجهما من اللهاة، وهو الموضع الواقع بين الحلق والفم.

ثمإنّ ابن معطي في القول بهذا الاصطلاح يستعمله في مدلوله الدقيق للدلالة على ما يقصده منها دون الالتجاء إلى تعابير وصفية إضافية؛ لأنّه كان معروفا من قبل. وفي هذا يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:« والقاف والكاف لهويّتان، لأنّ مبدأهما من اللهاة»"5"، فالخليل هوأول من أطلق لفظ "اللهوية" كمصطلح صوتي فيزيولوجي للدلالة على صوتي القاف والكاف نسبة إلى موضع حدوثها.

غير أنّ هناك تسمية أخرى شاعت في كتب القدماء، إلاّ أنّها لم تزحزح هذا المصطلح(اللهوية) عن مكانه بل أكّدت وجوده، هذه التسمية هي" أقصى اللسان"، فقد ذكر سيبويه هذا الاصطلاح محدِّدا به مخرج(القاف والكاف) قائلا:« ومن أقصى اللسان وما فوق الحنك

---

1 - نفسه، ص42.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:11.
3 - الأصل هو: اللهاة.
4 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س:15.
5 - الخليل، العين، ص65، ت: عبد الله درويش.

الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف قليلا من الحنك الأعلى مخرج الكاف»"[1]. والملاحظ أنّ سيبويه استعمل مصطلح" أقصى اللسان" في الدلالة على موضع حدوث صوتي(القاف والكاف).

ومع اختلاف معنى اللفظين فإنّ مصطلح" أقصى اللسان" عند سيبويه جاءت مساوية للفظ" اللهاة" لدى الخليل من حيث الاستعمال، ومردّ هذا الخلاف فيما يبدو إلى الملاحظة الذاتية وتذوقهما للأصوات؛ لأنّه عند النطق بالقاف يكون أقصى اللسان ملتحما مع اللهاة، وعليه فالاختلاف يكمن في تحديد العضو لا في النطق« وهذه النظرة جعلت الذين بعده يستعملون التسميتين معا، اللهاة على ما جاء به الخليل، وأقصى اللسان على رأي سيبويه»"[2]. ويبدو أنّ تسمية اللهاة أقرب لتحديد الموضع من أقصى اللسان، فقد أثبتت التجارب الحديثة صحة نظرة الخليل.

ومن هنا، فإنّ لفظ" اللهوية" عند ابن معطي واضح تمام الوضوح، ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به، لأنه كان معروفا من قبل.وإنّ توظيف صاحب الألفية لما اصطلح عليه الخليل من قبل في تسمية مخرج(القاف والكاف) باللهوي، هو تحديد ذكي، يتفق والدقة التي حرص عليها في ألفيته.

وهذا يؤكد أنّ ابن معطي لم يكن مجرّد ناقل أو جامع لآراء غيره بل كانت له مقدرة فائقة في الترجيح، شأن العالم المعتمد عليه، المتأكّد من صحة قوله وتصويب رأيه وعمق إدراكه، وتمكّنه من الفهم، فاستخدامه لمصطلح "اللهوية" سليم، يدلّ على المخرج دلالة مؤكدة، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة.

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص575، ت: إميل بديع يعقوب.

2 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص204، جامعة وهران- السانية، 1985- 1986م،(رسالة ماجستير).

ولذلك استعمله العلماء من بعده كثيرا وركّزوا عليه، كابن يعيش (ت643هـ) وابن الجزري(ت833هـ)"[1]. كما عُنِي به المحدثون واستعملوه في دراساتهم وذلك لدقته ووضوحه، غير أنّهم قصروه على صوت(القاف) فقط"[2].وهذا الاختلاف كان السبب في وجوده قصور الأدوات التي تستخدم في التعرّف على أجهزة النطق، والملاحظة الذاتية غير كافية هنا للفصل بين مخارج الحروف المتقاربة، إلا أنّ هذا الاختلاف كان ضئيلا جدا موازنة مع مقدار الاتفاق الذي كانوا يُجمعون عليه. وينتهي حديث مصطلح" اللهوية" عند ابن معطي وسأتبعه برسم بياني للهاة أحاول فيه تبيان موضعها وفق تحديد ابن معطي.

شجر الفم(الشجرية):

إنّ كلمة" الشجر" لغة؛ هو مفرج الفم ومفتتحه"[3]. وأما عند ابن معطي فهو موضع من مواضع النطق، إذ يستغلّ في إنتاج مجموعة صوتية معيّنة، ودلّل عليه مستخدما لفظ" الشجرية"[4]"، قال الشارح:« شجرية إشارة إلى الشين والجيم والضاد لأنّ مبدأها من شجر الفم»"[5]. ويفهم من هذا النص، أنّ الأصوات الشجرية هي التي تخرج من شجر الفم.

ومن هنا، فإنّ لفظ" الشجرية" عند ابن معطي هي تسمية صوتية فيزيولوجية أُختُصّت في الدلالة على أصوات(الشين والجيم والضاد)

---

1 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص516/ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص199.

2 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص110، مط: الرسالة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م.

3 - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص399، مادة(شجر- شجع)، ع: 1، س: 18.

4 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س: 11.

5 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س18.

نسبة إلى موضع حدوثها، وهو شجر الفم، ويعني به الموضع الفاصل بين أقصى الحنك ونطع الغار الأعلى؛ أي وسط الحنك وهو الجزء المقابل لوسط اللسان.

والشجرية مصطلح استُعمِل من قبل عند الخليل، بحيث ذكره باعتباره مخرجا لأصوات الشين والجيم والضاد"[1]. وأما سيبويه فقد استعمل لفظا آخر أدّى به معنى الأصوات الشجرية، وهو لفظ" وسط الحنك"، حيث قال:« ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»"2"، ومفاد هذا الحديث،أنّ وسط الحنك هو الجزء المقابل لوسط اللسان، بحيث يشترك مع وسط اللسان في إنتاج هذه الأصوات المذكورة آنفا. وقِيل به من جاء بعده واستخدموه في دراساتهم"[3]".

وندرك ممّا سبق، أنّ مصطلحي" الشجرية" و" وسط الحنك" يدلان على الموضع نفسه، وهما مترادفان في أغلب الاستعمالات. ولقد آثر ابن معطي استعمال" الشجرية"على مذهب الخليل، لأنّه سهل الاستعمال، وسليم، وهو يدلّ دلالة مؤكدة على المخرج وأصواته، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، وينِمّ هذا على تذوّقه الرفيع للألفاظ، بحيث حرِص على اختيار اللفظ الموجز، الدقيق، والموحي بحيث يُعرَف من خلاله لمدلول الذي أُستُعمِل لأجله.

وأما المحدثون فقد استخدموا لفظا جديدا للدلالة على مخرج أصوات (الجيم والشين والياء)، وهو" الغارية" يقول أحمد مختار

---

1 ـ الخليل، العين، ص65،ت: عبد الله درويش.
2 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص575، ت: إميل بديع يعقوب.
3 ـابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص47/ والزمخشري، المفصل، ص546/ وابن عصفور، الممتع في التصريف، ج2، ص669.

عمر:« الغار مع مقدّم اللسان: ويسمّى الصوت حينئذ غاريا»"[1]". ومعنى هذا، أنّ الغارية هي تسمية مشتقة من الغار؛ موضع النطق.

وقد اعترض إبراهيم أنيس على التسمية بحيث رأى أنّها تشمل كل أجزاء الغار أو الحنك وفي الوقت نفسه أثبت صحة ودقّة المصطلح القديم، حيث قال: «وذلك الشأن في مصطلحهم" الشجرية" الذي يتضمّن أصوات وسط الحنك كالجيم الفصيحة أو الجيم الشامية الكثيرة التعطيش وكالشين ولا داعي إذن لأن ننهج منهج هؤلاء الدارسين حين يطلقون عليها لفظ "الغارية" لأنّ الغار في الحقيقة يشمل كل أجزاء الحنك الأعلى»"[2]".ومفاد هذا الكلام أنّ الغار يشمل أجزاء الحنك بينما الشجر فإنه يختص بجزء من الحنك وهو وسطه.

وفي ضوء ما تقدم، تبيّن أنّ الاختلاف الحاصل بين ابن معطي والمحدثين كان في الاصطلاح لا في ذات الحروف. ويبقى أنقى وصف وأدقه، هو تحديد ابن معطي وتسميته لهذا الموضع. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" الشجرية" عند ابن معطي، وسأتبعه برسم بياني لشجر الفم أحاول فيه بيان موضعه وفق تحديد صاحب الألفية.

---

1 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص271، مط: عالم الكتب، ط:3، 1405-1985.

2 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص108، مط: محمد عبد الكريم حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:4، 1981م.

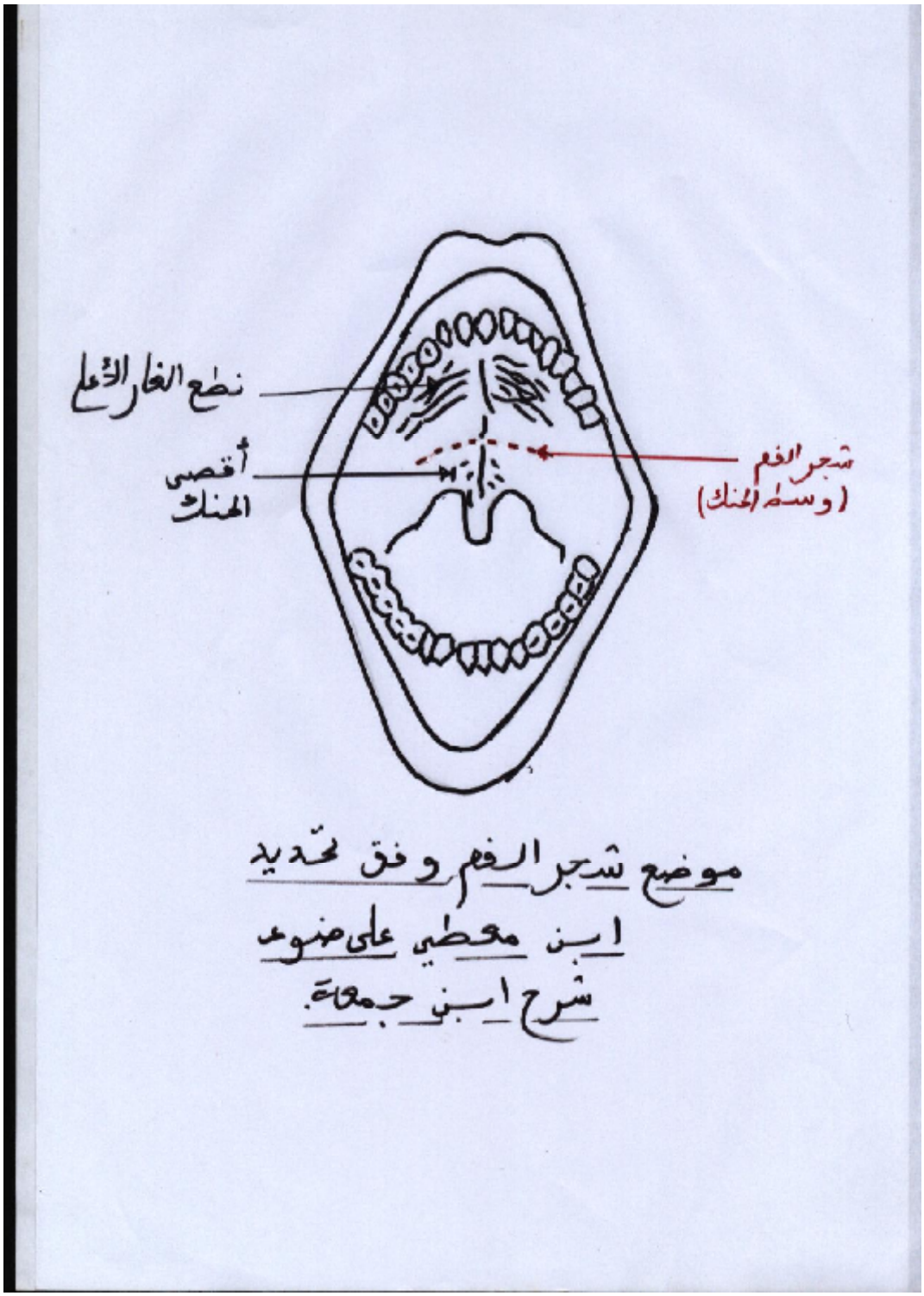

موضع شجر الفم وفق تحديد
ابن معطي على ضوء
شرح ابن جماعة.

أسلة اللسان(الأسلية):

الأسل لغة؛ الجزء الحادّ الدقيق من الشيء، جاء في اللسان:« الأسل: نبات له أغصان كثيرة رقاق بلا ورق... والأسل: الرماح على التشبيه به في اعتداله وطوله واستوائه ودقّة أطرافه والواحد كالواحد. والأسل: النبل. والأسلة: شوكة النخلة وجمعها أسل... وأسلة اللسان طرف شباته إلى مستدقّه»"[1]". كان هذا دلالة المصطلح لغة.

وفي المجال الصوتي ذكر ابن معطي لفظ" أسلة اللسان" باعتباره مخرجا من مخارج الحروف، وأشار إليه مستخدما لفظ" الأسلية"[2]"، وبيّنه الشارح قائلا:« أسلية إلى الصاد والسين والزاي لأنّها تخرج من أسلة اللسان وهو طرفه ومستدقه»"[3]". ومفاد هذا الحديث أنّ لفظ" الأسلية" عند ابن معطي وظّفها للتعبير عن أصوات (الصاد والسين والزاي) نسبة إلى موضع حدوثها، وهو أسلة اللسان ويعني به مستدقّ طرفه، وهذا الموضع آخر نقطة في اللسان.

وما يلاحظ هنا،أنّ صاحب الألفية اكتفى بذكر المصطلح دون أن يقدّم تعريفا اصطلاحيا للكلمة، وذلك لوضوح معنى المصطلح لأنّه استمدّ دلالته الاصطلاحية من دلالته اللغوية، كما أنّه كان معروفا من قبل.

وقد استعمله الخليل من قبل مدلّلا به على الأصوات الثلاثة السالف ذكرها"[4]". وأما سيبويه فلم يرد ذكر المصطلح عنده وإنّما حدّد الوضعية التي يتّخذها طرف اللسان أثناء النطق بهذه الأصوات، حيث قال:« وممّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين،

---

1 - (باختصار)، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص75، مادة(أسك- أسن)، ع:1، س:19.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:11.
3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370.
4 - الخليل، العين، ص65، ت: عبد الله درويش.

والصاد»"[1]".والملاحظ أنّ سيبويه استعمل لفظ" طرف اللسان" في هذا الموضع بمعنى" نهايته" أو" مستدقه"، بدليل قوله(فُوَيْقَ الثنايا) لأنّه عند النطق بأصوات(الزاي والصاد والسين) يكون طرف اللسان أعلى الثنايا. وتحديده هذا يشير إلى منطقة مستدق طرف اللسان.

ولقد اكتفى أكثر العلماء بترديد كلامه، كالمبرد، وابن جني، والزمخشري"[2]". وما يمكن أن نستخلصه هنا أنّه وإن اختلفت التعابير عند هؤلاء فإنّ المعنى واحد بدليل اتفاقهم وإجماعهم على الأصوات الثلاثة التي أقرّها الخليل من قبل.

ويتّضح ممّا سبق، أنّ" الأسلية" هي مصطلح صوتي فيزيولوجي أُختُصّ في الدلالة على أصوات (الصاد والزاي والسين)، وهي تسميّة مشتقة من موضع حدوثها، أسلةاللسان، وقد استقرّ عند ابن معطي على هذا الاصطلاح وذلك لوضوح دلالته ودقته. وأرى أنّ تسمية هذه الأصوات بالأسلية أبْيَنُ وأوضح ويُبعِد اللُّبس بينه وبين الأصوات الذلقية.

ومن ثمّةفستشفّ أنّ صاحب الألفية لم يكن مجرّد ناقل أو جامع لآراء غيره، بل كانت له مقدرة في الترجيح، متأكدا من صحة قوله، وتصويب رأيه وعمق إدراكه، وتمكّنه من الفهم، كما ألفيناه حريصا على تقريب المفهوم باللفظ السهل، الموجز، المركّز الدلالة، كما هو الحال في توظيفه للفظ" الأسلية". وقد تداوله العلماء من بعده كابن يعيش وابن الجزري"[3]".

---

1 -سيبويه، الكتاب، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب.

2 -المبرد، المقتضب، مج1-2، ص224/ وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص47/ والزمخشري، المفصل، ص546.

3 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص518/ وابن الجزري، النشر، ج1، ص200.

وأما المحدثون فمنهم من تبع ابن معطي في المصطلح وأصواته كصبحي الصالح، ومحمد المبارك"[1]"، ومنهم من استخدم لفظا جديدا وهو" الأسنانية اللثوية"، يقول تمام حسان:« المخرج الأسناني اللثويDENT-alveolaires ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة. وهو للأصوات التالية: ض(d)، د(d)، ط(t)، ز(z)، ص(s)، س(s)»"[2]". وفي هذا الحديث يظهر ميل المحدثين إلى تحديد أعضاء الجهاز النطقي بالمواضع الثابتة كما هو الحال هنا، بحيث حُدِّد مخرج هذه الأصوات بالأسنان واللثة، وجعلوا الأعضاء المتحركة كطرف اللسان ومقدمته عضوا مساعدا في إنتاج الصوت.

ويظهر من عرض الأصوات زيادة صوت(الضاد، والطاء، والدال، والتاء) وهذا يدلّ على اتساع معنى" الأسنانية اللثوية" عندهم ليشمل الأصوات الأربعة السالفة الذكر، في حين نسبها ابن معطي إلى نطع الغار الأعلى.

ومن هنا نستنتج، أنّ مصطلح" الأسلية" اختلف عند المحدثين اسما ومعنىً، فالأسنانية اللثوية عندهم يشمل الأصوات " النطعية" و" الأسلية"بخلاف ما جاء به ابن معطي من قبل، ولعلّ الذي جعل هؤلاء يدرجون هذه الأصوات في حيز واحد هو أنّهم نظروا إليها على ما هي عليه في نطقهم الحالي. ويبقى أنقى وصف وأدقه ما استخدمه صاحب الألفية. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" الأسلية" عند ابن معطي وسأتبعه برسم بياني لأسلة اللسان أحاول فيه بيان موضعها وفق تحديد صاحب الألفية.

---

1 -صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص279/ ومحمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص48.

2 -تمام حسان، مناهج البحث، ص110-111.

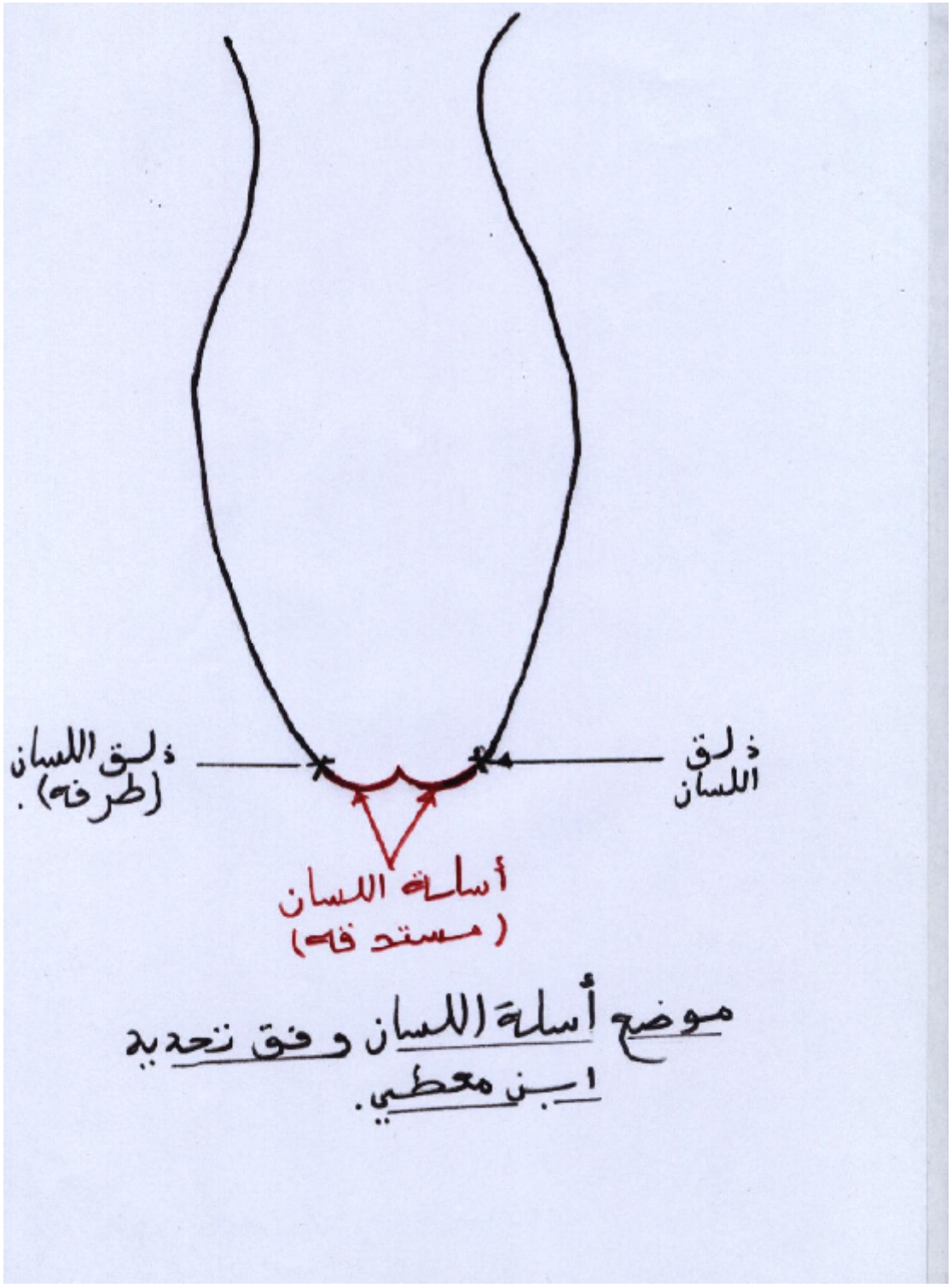

موضع أسلة اللسان وفق تحديد ابن معطي.

نطع الغار الأعلى(النطعية):

جاء في اللسان:« النِّطْع والنِّطَع والنَّطَع: ما ظهر من الغار الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليفاء فيها آثار كالتخريز، وهناك موقع اللسان في الحنك، والجمع نُطُوع لا غير»"[1]. كان هذا دلالة مصطلح" النطع" لغة.

وأما في المجال الصوتي، ذكر ابن معطي لفظ" نطع الغار الأعلى" في حديث مخارج الحروف، ودلّل عليه مستخدما لفظ" النطعية""[2]. وقد علّل ابن جمعة سبب التسمية في النص الآتي قائلا:« وقوله: النطعية إشارة إلى الطاء والتاء والدال، لأنّها تبتدِئ في مخرجها من نطع الغار الأعلى وهو سقفه»"[3]. ويستفاد من النص السابقأنّ لفظ" النطعية" عند صاحب الألفية جاء به ليدلّل على أصوات (الطاء والتاء والدال)، وهي تسمية مشتقة من موضع حدوثها، هو نطع الغار الأعلى، ويعني به ذلك الجزء الصلب الواقع بين شجر الفم(وسط الحنك) واللثة فهو الموضع المحاذي للثة(أصول الثنايا).

وما يلاحظ هنا أنّ ابن معطي اكتفى بذكر المصطلح دون أن يقف عند حدوده الاصطلاحية، وذلك لوضوح معنى المصطلح، لأنّه استمدّ دلالته الاصطلاحية من دلالته اللغوية.ومن هنا فإنّ" النطعية" عند صاحب الألفية واضح تمام الوضوح ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به.

ويعود مصطلح" النطعية" إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو أول من استخدم هذا اللفظ كمصطلح صوتي عضوي للدلالة على

---

1 -ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص208، مادة(نطس- نطف)، ع:1، س:44.
2 -ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:12.
3 -علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س:20.

أصوات(الطاء والدال والتاء) نسبة إلى موضع حدوثها"[1]". وأما سيبويه فاستخدم لفظا جديدا أدى به معنى الأصوات النطعية، وهو" أصول الثنايا" حيث قال:«وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»"[2]"، ويعني سيبويه بمصطلح" أصول الثنايا" مغارز الأسنان ومنابتها، وهذا الموضع هو آخر نقطة في الحنك الأعلى.

ومع اختلاف معنى اللفظين فإنّ كلمة" أصول الثنايا" في حديثه حملت معنى" نطع الغار الأعلى"، فقد ورد لفظ(أصول الثنايا) عند سيبويه مرادفا لمصطلح" نطع الغار الأعلى" لدى الخليل من حيث الاستعمال، ومردّ هذا الاختلاف فيما يبدو إلى تداخل منطقتي النطع وأصول الثنايا.

وفي ضوء ما تقدم، نجد أنّ ابن معطي قد أكد ما ذهب إليه الخليل من قبل في تخصيص" النطعية" لأصوات(الطاء والدال والتاء)، وهو اصطلاح سهل الاستعمال، وسليم يدلّ على المخرج دلالة مؤكدة، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، ولهذا استخدمه ابن معطي واستقرّ عليه، لأنّه يتفق والدقة التي حرص عليها في كتابه.

وأما المحدثون، فمنهم من حذا حذو ابن معطي، كصبحي الصالح، ومحمد المبارك"[3]"، ومنهم من أبدل مصطلح" النطعية" بلفظ" الأسنانية اللثوية"؛ لأنّ فيه «يعتمد طرف اللسان على باطن الثنايا العليا ومقدمه على اللثة. فإن كان هذا الاعتماد قويا وكان الالتحام تاما حدثت أصوات الضاد والدال والطاء والتاء، وإن كان الاعتماد ناقصا وكانت هناك فرجة حدثت أصوات الزاي والسين

1 ـ الخليل، العين، ص65، ت: عبد الله درويش.
2 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب.
3 ـ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص279/ ومحمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص47-48.

والصاد»"[1]". وهؤلاء جميعهم لاحظوا موضع اتصال طرف اللسان بالحنك الأعلى في حدوث الصوت.

وقد توسع هؤلاء في المصطلح وأصواته، ويبدو أنّ جميع من خالفوا ابن معطي في المصطلح وأصواته، هم الذين نظروا للأصوات على ما هي عليه في نطقهم الحالي، أو الذين ترجموا مصطلحات أجنبية إلى العربية، كما هو الحال في لفظ" الأسناني اللثوي" الذي هو مترجم من اللفظ الأجنبيdent- alvéolaires. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" النطعية" عند ابن معطي وسأتبعه برسم بياني لنطع الغار الأعلى أحاول فيه بيان موضعه وفق تحديد صاحب الألفية.

1 ـ محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص162، ط:2.

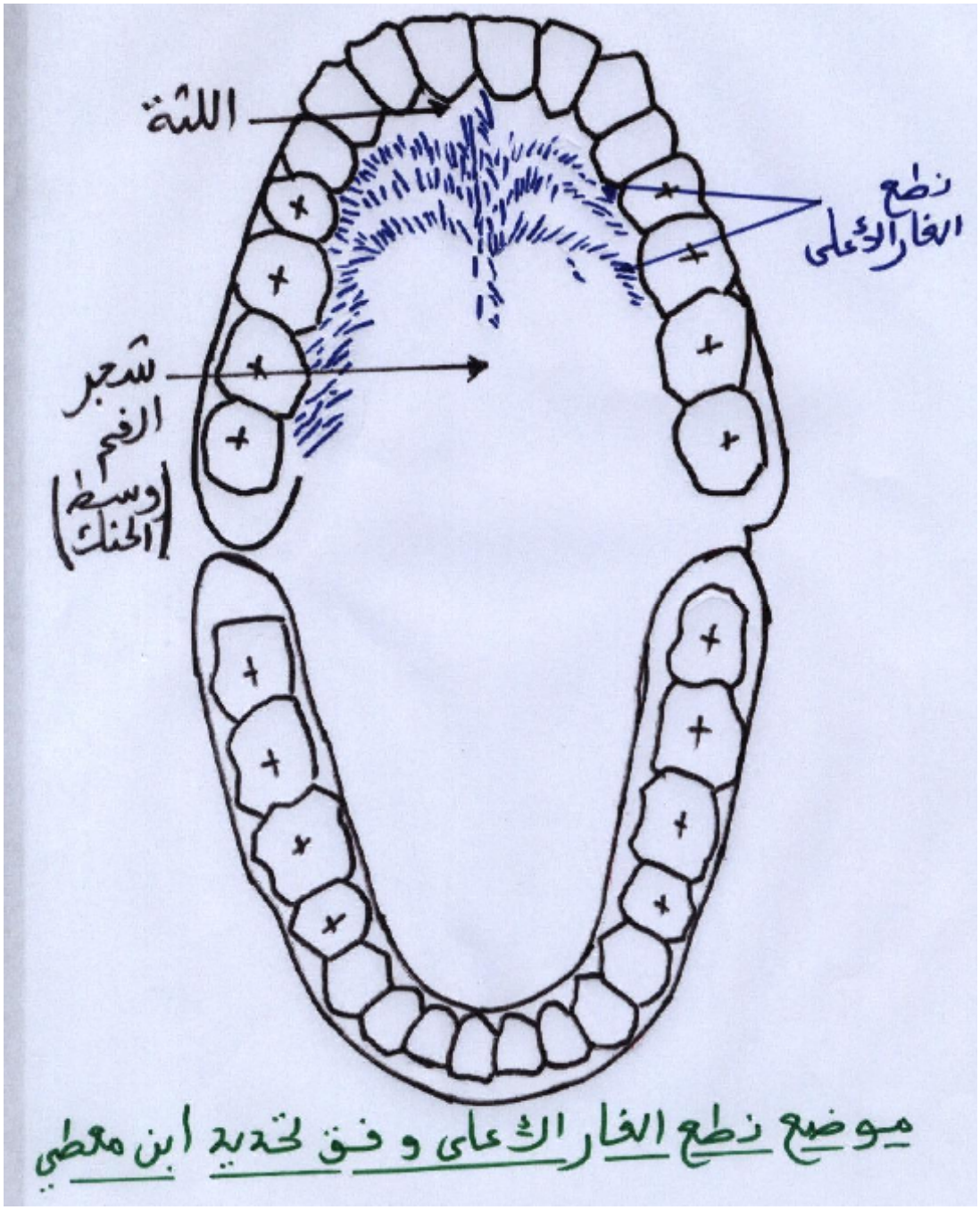

موضع نطع الغار الأعلى وفق تحديد ابن معطي

اللثة(اللثوية):

تقع اللثة« خلف الأسنان الأمامية مباشرة، وتشكّل الجزء البارز من الطبق خلف وفوق الأسنان الموجودة في الفك العلوي»"[1]"، فهي« اللحم الدائر بالأسنان»"[2]"، واللثة هي من أعضاء النطق الثابتة بحيث تستغلّ في إنتاج بعض الأصوات اللغوية بالاشتراك مع اللسان.

كما أدرك ابن معطي هذا العضو، وكان ذلك عبارة عن إشارات موجزة ولكنها دقيقة، تدلّ على معرفة دقيقة بوظائف أعضاء الجهاز النطقي وكيفية إصدارها للأصوات، ودلّل عليه مستخدما لفظ" اللثوية"[3]". وفي النص الآتي الذي أورده الشارح يتجلّى مجال توظيف صاحب الألفية لهذا المصطلح« وقوله: لثوية إلى الظاء والثاء والذال، لأنّها من اللثة وهي اللحم الذي تنبت فيه الأسنان»"[4]". ومغى هذا، أنّ اللثوية هي الأصوات التي تنسب إلى اللثة.

ومن هنا، فإنّ لفظ" اللثوية" عند اين معطي هي تسمية صوتية عضوية أُختُصّت في الدلالة على أصوات(الظاء والثاء والذال) نسبة إلى موضع حدوثها، اللثة، ويعني به مغارز الأسنان ومنابتها، وهي آخر نقطة في الحنك الأعلى، تقع خلف الأسنان العليا مباشرة، ومن ثمة، فهو الموضع الواقع بين الأسنان العليا ونطع الغار الأعلى، كما أنّها الجزء المقابل لطرف اللسان.

وإذا نظرنا إلى عملية إنتاج أصوات(الظاء والثاء والذال) فلا نجد دخلا للثة فيه، غير أنّ الذي يشفع لابن معطي في استخدام هذا اللفظ

---

1 -أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص85.

2 - زبير دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ص66، مط: ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط:2، 1994م.

3 -ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:13.

4 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س:21.

للدلالة على موضع هذه الأصوات، هو أنّ طرف اللسان حين يلتقي مع أطراف الثنايا العليا أثناء حدوث الأصوات الثلاثة المذكورة آنفا نلاحظ اقتراب طرف اللسان من اللثة. ولعلّ هذا الذي أدى بابن معطي إلى إقرار هذا المصطلح وتأكيده؛ لأنه من استعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي.

فالخليل هو أول من أطلق على هذه الأصوات لفظ" اللثوية" نسبة إلى اللثة"[1]"، ومعروف عن الخليل أنّه كان يتميز بحس مرهف وبدقة الملاحظة، فمن غير الممكن أن يكون قد أخطأ في استخدام هذا المصطلح في غير موضعه ومنحته ذلك درايته الحاذقة بالتمييز بين الأصوات في تحديد هذا الموضع.

ومن هنا نستنتج،أنّ ابن معطي أكد ما ذهب إليه الخليل من قبل في القول بمصطلح" اللثوية" للتعبير عن أصوات(الظاء والثاء والذال)، لأنّه أحس فيما يبدو بمجاورة هذه الأصوات من اللثة؛ أي أنّها تخرج قريبة بمحاذاة اللثة، فاختار لفظ "اللثوية" على مذهب الخليل كمصطلح صوتي فيزيولوجي أختُصّ في الدلالة على الأصوات المتقدم ذكرها. وتداوله العلماء من بعده كابن يعيش وابن الجزري"[2]"، هذا عند القدماء.

وأما بالنسبة للمحدثين فقد استعملوا لفظا جديدا للتعبير عن موضع حدوث هذه الأصوات، وهو لفظ" الأسناني"، يقول تمام حسان:« المخرج الأسناني (DENTALES) ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا. وهو لأصوات ت(O)، ذ(O)، ظ(O)»"[3]". ويفهم من كلامه أنّ الأسنان العليا هي موضع حدوث أصوات (الظاء والثاء والذال) بالاشتراك مع طرف اللسان.

---

1 ـ الخليل، العين، ص65، ت: عبد الله درويش.

2 ـ ابن يعيش، شرح ألفية ابن معطي، ج5، ص518/ وابن الجزري، النشر، ج1، ص201.

3 ـتمام حسان، مناهج البحث، ص110.

ومن ثمة، نجد اختلافا بيِّنا بين هؤلاء، وما قال به ابن معطي من قبل، بحيث نفوا اشتراك اللثة في عملية التصويت لهذه الحروف. ولعلّ هذا الاختلاف مردّه إلى أنّ ّ هؤلاء نظروا إلى نطق هذه الأصوات كما هي عليه في نطقهم الحالي. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" اللثوية" عند ابن معطي وسأتبعه برسم بياني للثة أحاول فيه بيان موضعها وفق تحديد ابن معطي.

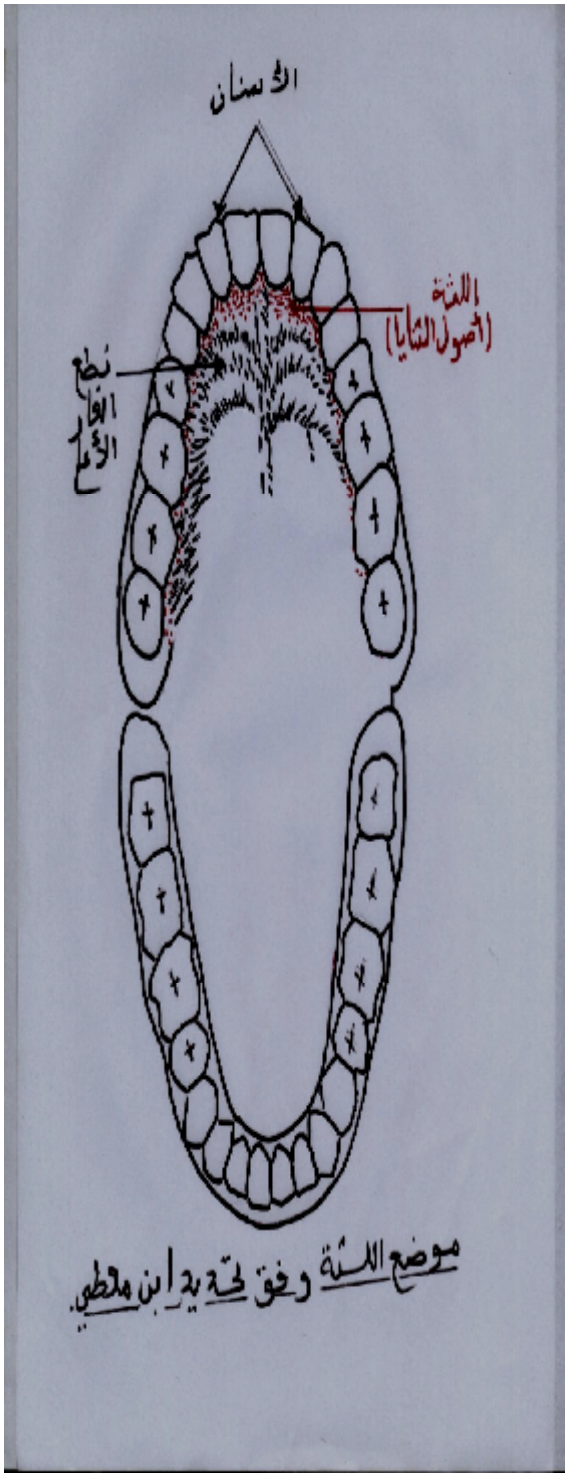

موضع اللثة وفق تحديد ابن معطي

ذلق اللسان(الذلقية):

جاء في اللسان:« ذولق اللسان وذَلقه:حدّته، وذوْلقه طرفه، وكل محدّد الطرف مُذلّق، ذلُق ذلاقة، فهو ذَليق وذَلَق وذُلَق وذُلُق»"1"، ومعنى هذا أنّ ذلق اللسان هو طرفه.

وفي المجال الصوتي ورد ذكر مصطلح" ذلق اللسان" عند ابن معطي في حديث المخارج، وأشار إليه مستخدما لفظ" الذلقية""2". وعلّل الشارح سبب التسمية في النص الآتي فقال:«ذلَ ْقية بإسكان اللام وتحريكه ويقال الذَوْلقية أيضا إشارة إلى الراء واللام والنون، لأنها من طرف اللسان وطرف كل شيء ذلَقه»"3".ويستفاد من كلام الشارح أنّ ابن معطي استعمل لفظ" الذلقية" في التعبير عن أصوات(الراء واللام والنون) التي تخرج من ذلق اللسان أو طرفه، ويعني به الجزء المحاذي لأسلة اللسان أو مستدقه.

وإنّ ابن معطي في القول بهذا الاصطلاح(الذلقية) يوظفه في موقعه الدقيق للدلالة على ما يقصده، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، لأنّ معنى المصطلح كان معروفا منذ الخليل، فالخليل كان أول من استخدم لفظ" الذلقية" على الأصوات الثلاثة المتقدم ذكرها"4"

وأما سيبويه فقد وزّع هذه الأصوات على ثلاثة مخارج؛ حيث قال:« ومنحافة اللسان من آخرها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينها وبين ما يليها منالحنك الأعلى ممّا فُوَيْق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»"5"، وأما مخرج النون فمن«حافة اللسان من أدناها

---

1 -ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص467، مادة(ذلف- ذلل)، ع:1، س:39.

2 -ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:13.

3 -علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1370، س:22.

4 - الخليل، العين، ص67، ت: عبد الله درويش.

5 -سقط من طبعة إميل بديع يعقوب، وموجودة في طبعة عبد السلام هارون، ج4، ص433.

إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا»"[1]"، وأما مخرج الراء فمن« مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام»"[2]".ونلاحظ هنا، أنّ سيبويه لم يذكر مصطلح" ذلق اللسان" وإنما يفهم من سياق الكلام.

فالمَحِّص للتعابير الوصفية التي ذكرها سيبويه في وصف مخرج هذه الأصوات يلفي بعض الألفاظ أو الاصطلاحات التي استصاغها سيبويه لتحديد موضع حدوث أصوات(اللام، والنون، والراء)، وهي:

- آخر حافة اللسان: ويعني بها منتهى جانب اللسان.
- وأما منتهى طرف اللسان فهي إشارة منه إلى نهاية اللسان أو مستدق طرفه.

ومن خلال هذه الأوصاف نستشف أنّ سيبويه يشير إشارة دقيقة إلى موضع طرف اللسان؛ فالقول بآخر حافة اللسان، ومنتهى طرف اللسان، بيّنت بدقة موضعه الحقيقي لاسيّما حين استعمل التعبير بـ"مِن" و"إلى"، بحيث تدل"من" على البداية أو المبدأ، وأما" إلى" فتشير إلى النهاية أو المنتهى.

ومن ثمة،نستنتج أنّ طرف اللسان هو الموضع المحاذي لنهايته أو أسلته. زيادة على ذلك فقد جاءت هذه النصوص مؤكدة على التقارب الشديد بين مخارج هذه الأصوات. والتزم أكثر العلماء بعد سيبويه بترديد كلامه دون إضافة أو تعليق"[3]".

وفي ضوء ما تقدّم، يتبيّن أنّ ابن معطي قد أفاد من كل ما جاء به غيره، إلاّ أنّه جنح إلى مذهب الخليل في جمع أصوات(اللام والنون

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب.

2 -نفسه، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب.

3 - ابن السراج، الأصول في النحو، ج3، ص400_401/ وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص47/ والخفاجي، سر الفصاحة، ص20/ والزمخشري، المفصل، ص546.

والراء)في حيِّز واحد، وهو ذلق اللسان، لأنّه رأى أنّ جميع من تقدّمه أكدوا على القرابة الشديدة بين هذه الأصوات.

وما يذكر لابن معطي من فضل هنا، أنّه أجاد في توظيف هذا اللفظ،ذلك أنّ مصطلح" الذلقية" لهذه الأصوات سهل الاستعمال، وهو سليم يدلّ على المخرج دلالة مؤكدة، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، ويتفق والدقة التي حرص عليها في كتابه، فقد حاول أن يقدِّم منظومة تعليمية تسهِّل على طالب العلم الحفظ والفهم، ولذا حرص على اختيار اللفظ الموجز الدقيق، السهل الاستعمال.

وأما المحدثون فلم يختلفوا في تحديد مخرج أصوات(اللام والنون والراء) عمّا قاله ابن معطي من قبل، والجديد عندهم هو استخدام لفظ" اللثوية" للدلالة على مخرج هذه الأصوات، يقول تمام حسان:« المخرج اللثوي(alvéolaires) ويكون باتصال طرف اللسان باللثة وهو لأصوات: ل(l)، ن(n)، ر(r)»"[1]. ويظهر من كلامه أنّه اعتمد موضع حدوث الصوت من الحنك الأعلى، فاستعمل لفظ "اللثوية" نظرا لالتقاء أو اتصال طرف اللسان باللثة.

وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عمّا أشار إليه ابن معطي من قبل، فقد جمع المحدثون هذه الأصوات في موضع واحد كما فعَل ابن معطي على طريقة الخليل. ورأى أنّ الاختلاف يكمن في تحديد العضو لا في النطق، بحيث يشترك طرف اللسان مع اللثة في إنتاج أصوات(اللام والنون والراء)، فاختار ابن معطي: "الذلقية" نسبة إلى ذلق اللسان، ونعتها المحدثون بـ "اللثوية" نسبة إلى اللثة. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" الذلقية" عند ابن معطي وسأتبعه برسم بياني لذلق اللسان أحاول فيه بيان موضعه وفق تحيد صاحب الألفية.

---

1 ـ تمام حسان، مناهج البحث، ص110- 111.

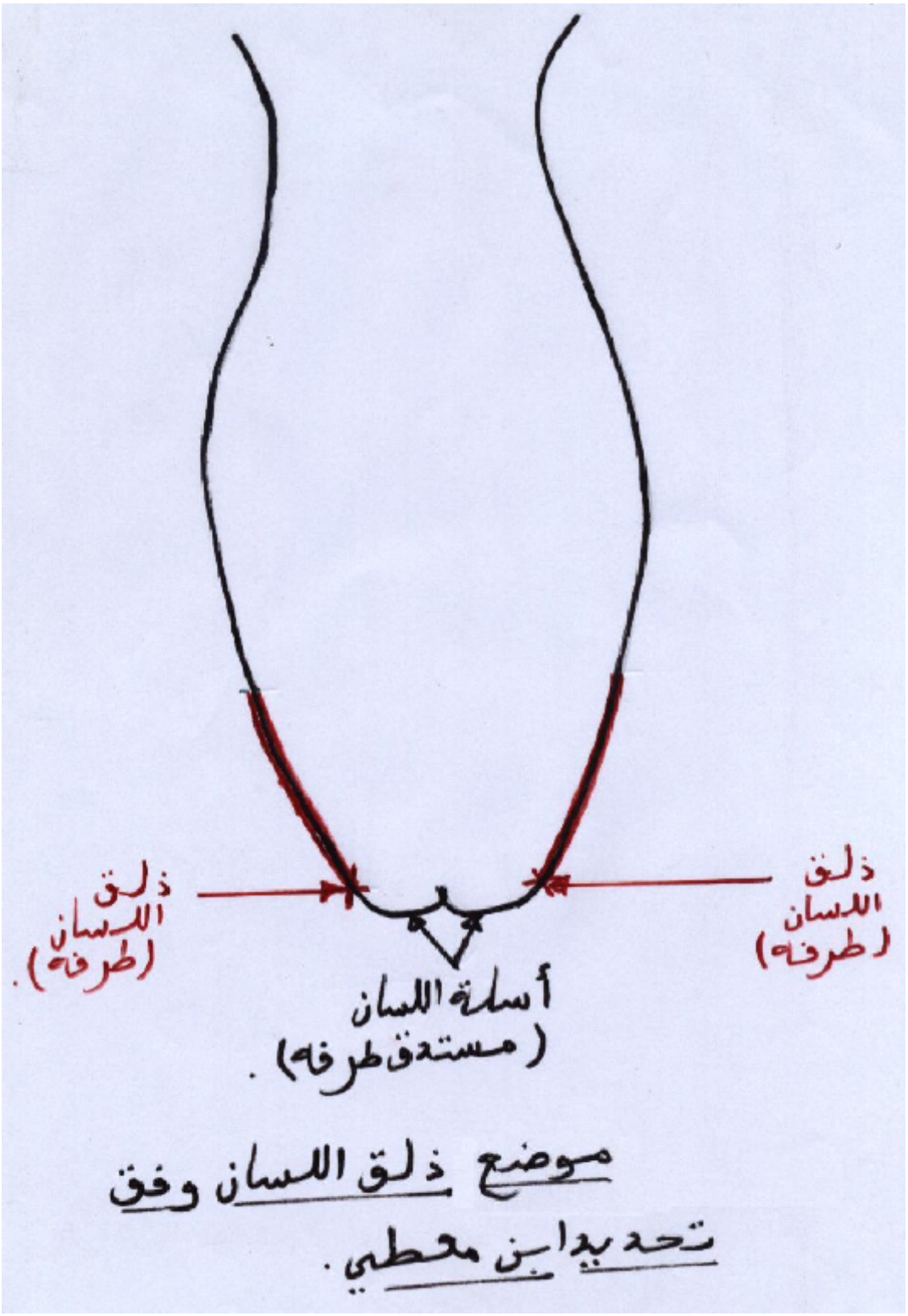

موضع ذلق اللسان وفق تحديد ابن معطي.

الشفتان(الشفهية):

الشفتان« عضلتان مستديرتان ينتهي بها الفم»[1]، ودورهما كبير في نطق بعض الأصوات اللغوية؛ فمنهما تنتج الأصوات الشفهية، كما تسهمان في نطق الصوائت العربية(الفتحة، والضمة، والكسرة). وتتخذ الشفتان أوضاعا مختلفة عند النطق بالأصوات اللغوية انفراجا، وانطباقا، واستدارة« تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثا صوتا انفراجيا كما في نطق الباء. وتستدير الشفتان كما يحدث عند نطق الضمة. وهما تتخذان وضعا مختلفا في نطق الكسرة العربية وقد تنفتح الشفتان حتى يتباعد ما بينهما إلى أقصى درجة»[2]، وهي من أعضاء النطق المتحركة .

كما تناول ابن معطي لفظ" الشفتان" في ألفيته باعتباره مخرجا من مخارج الحروف، ودلّل عليه مستخدما لفظ" "الشفهية"[3]. وحدّده ابن جمعة قائلا:« شفهية ويقال الشفوية إلى الفاء والياء"[4] والميم لأنّ مخرجها من الشفة»[5].ويستفاد من كلام الشارح أنّ لفظ" الشفهية" عند ابن معطي أورده كمصطلح صوتي فيزيولوجي للتعبير عن أصوات(الفاء والباء والميم) التي تخرج من الشفتين، وسُمِيت بالشفهية نسبة إلى موضع حدوثها.

وابن معطي في قوله بهذ الاصطلاح لم يكن مجددا وإنّما أورده بنفس اللفظ والدلالة مثلما استعمله غيره، فهذا الخليل يقول:« الفاء والباء

---

1 ـ محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية وصرفها ونحوها، ج1، ص13، مط: دار الشرق العربي_ بيروت، ط:3.

2 ـمحمود السعران، علم اللغة، ص149، مط: دار المعارف بمصر، 1962م.

3 ـ ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:14.

4 ـ الأصل هو: الباء.

5 ـ علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1371، س:1.

والميم شفوية، ويقال مرة شفهية لأنّ مبدأها من الشفة»"[1]"، لقد حدد الخليل في هذا النص مصطلح" الشفهية" وأصواته، وهو تحديد واضح وكاف.

وأما سيبويه فإنه نسب هذه الأصوات إلى مخرجين اثنين، حيث قال:« ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى مخرج الفاء. وممّا بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو»"[2]".يرى سيبويه أنّ صوت(الفاء) يستقلّ بمخرج خاص قريب من مخرج أصوات(الباء والميم والواو)، بحيث تتصل باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا أثناء حدوثه، في حين تجتمع الشفتين بعضهما بعضا عند حدوث(الباء والميم والواو).

ويتّضح ممّا سبق، أنّ مصطلح" الشفهية" مصطلح صوتي عضوي وُسِمت به أصوت(الباء والميم والفاء والواو)، استعمله علماء اللغة القدماء كالخليل وسيبويه، وتناقله ابن معطي عنهم دون أن يحدث أيّ تغيير. واستخدمه المحدثون في أبحاثهم بنفس اللفظ والدلالة"[3]".

1 ـ الخليل، العين، ص65، ت: عبد الله درويش.
2 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص573، ت: إميل بديع يعقوب.
3 ـصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص280.

اللين(اللينية):

اللين لغة ضد الخشونة، وفي المجال الصوتي ذكره ابن معطي في حديث المخارج ودلّل عليه مستخدما لفظ" اللينية"[1]، وحدّده الشارح في قوله:« اللينية إلى الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما، لأنّهما يخرجان في لين وسهولة، إلا أنّهما لما لم يجانسها ما قبلهما في الحركة نقصا عن المد الذي في الألف وبقي مجرّد اللين لسكونها»[2]. ويحدد هذا الحديث توظيف ابن معطي للفظ" اللينية"، ويوضح الفرق بينه وبين المد.

فاللينية مصطلح صوتي فيزيائي نفَسي أورده ابن معطي للدلالة على صوتي الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما لأنّ الهواء يمرّ في أثناء حدوثهما سهلا من غير إعاقة أو تضييق وهما يخرجان عن المد إلى ما يشبه الصحة في حالة تغير حركة ما قبلهما عن جنسهما.

ويبدو أنّ ابن معطي حالفه الصواب أكثر من غيره في وصف هذين الصوتين (الواو والياء) الساكنين المفتوح ما قبلهما. فهذا سيبويه يقول:«ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأنّ مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها كقولك:" وأي" والواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت»[3]. وقد أورد سيبويه مصطلح" اللينة" للدلالة على صوتي(الواو والياء)لأنّ الهواء يمرّ أثناء حدوثهما حرا من غير تضييق، وهو ما عبّر عنه في عبارة(اتساع مخرج الصوت).

ولكنه استعمل هذا المصطلح في موضع آخر بمعنى أوسع وأشمل، حيث قال:« وحروف اللين هي حروف المد التي يمدّ بها

---

1 ـ ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:14.

2 ـعلي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1371، س:2.

3 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص575، ت: إميل بديع يعقوب.

الصوت، وتلك الحروف الألف والواو والياء»"[1]؛ ومعنى هذا أنّ مصطلح" اللين" عنده هو مصطلح" المد" من حيث الدلالة وأصواته، ولذا فقد رافقه بعض الغموض بسبب قوله(حروف اللين هي حروف المد)، الأمر الذي أوجد التباسا عند أغلب الدارسين القدماء من بعده بين معنى المصطلحين"[2].

وأما مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ) فعلّل سبب تسمية(الواو والياء) بحرفي اللين قائلا:« إنّما سميّتا بذلك، لأنّهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسمّيّتا بحرفي اللين»"[3]. وفي عبارته(يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان) وضوح يبعد اللبس بين اللين والمد.

فقد خصّ اللين لصوتي الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما وذلك «لظهور بعض الاحتكاك عن طريق اللسان»"[4] أثناء حدوثهما، بينما في حالة المد المحض الخالص يمرّ حرا طليقا من غير إعاقة أو تضييق، ومن ثمةفستشفّ أنّ "اللين" هو خروج صوتي الواو والياء عن المد المحض إلى وضع يشبه الصوت الصامت الصحيح في حالة تغير حركة ما قبلهما.

ومن هنا،نستنتج أنّ ابن معطي قد أفاد من حديث مكي بن أبي طالب القيسي من قبل، فقد أخرج الألف من اللين، وأكد على اختصاص صفة اللين لصوتي(الواو والياء) الساكنتين المفتوح ما قبلهما. وما انفرد

---

1 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص575.

2 ـالمبرد، المقتضب، مج1-2، ص101/ وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص17.

3 ـغالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ص94، عن: مكي القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص101- 102.

4 ـنفسه، ص95.

به دونهم أنّه ذكر مصطلح" اللينية" في حديث مخارج الحروف، وكأنّه يريد الإشارة إلى توضيح الفارق بين صوتي(الواو والياء) باعتبارهما صوتين صحيحين، وبين كونهما حرفي لين يسعيان إلى الصحة، بحيث يكونان متوسطتان بين الاعتلال والصحة؛ لأنّهما أثناء سكونهما وانفتاح ماقبلهما يظهر بعض الاحتكاك عن طريق اللسان عند صدورهما. وهو تحديد ذكي يوحي إلى عمق إدراكه(ابن معطي)، وتمكّنه من الفهم، وقدرته على الترجيح.

ولم يختلف المحدثون في تفسيرهم لمعنى مصطلح" اللين" عمّا ارتآه ابن معطي من قبل وعمِل به، والجديد عندهم هو اصطلاحهم على هذين الصوتين لفظ" أنصاف الصوائت" لأنّ« إصدار أنصاف الصوائت(الواو والياء) فيه شيء من الإعاقة لتيّار الهواء حال مروره بتجويف الفم، تتمثل هذه الإعاقة في تشكّل بعض أجزاء الفم المسؤولة عن إنتاج الواو والياء بكيفية تعطي للصوت تشكله وحقيقته، وبهذه المفارقة وهي قبول الامتداد في الصوت ووجود الإعاقة لتيّار الهواء تتحقّق خصوصية الواو والياء قياسا بالصوامت وهو كذلك ما ميّزها عن الصوائت»"[1]". كان هذا دلالة مصطلح" أنصاف الصوائت" عند المحدثين.

وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عمّا جاء به ابن معطي من قبل، فاللين، أو أنصاف الصوائت بالتعبير الحديث هو صفة وسطى بين الصوامت والصوائت (حروف المد)، فطبيعة هذه الأصوات أساسا هي أصوات مد بيد أنّها تقترب من الأصوات الصامتة بحكم ظهور بعض الاحتكاك مع اللسان أثناء حدوثها في حالة سكونها وانفتاح ما قبلها.

---

1 - أبو بكر حسيني، التركيب النوعي للحركات- رؤية في الدلالة والوظيفة، ص25، التراث والحداثة في اللغة والأدب، جامعة البليدة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2004م.

وعليه، فهم لم يضيفوا جديدا في المجال الصوتي على ما جاء به ابن معطي إلا أوصافا توضيحية لما تصوّروه في هذا الوصف.

الفصل الثاني

المفاهيم الصوتية الفيزيائية النفسية

تمهيد

الصوت اللغوي ذو جانبين أساسيين: أحدهما فيزيولوجي عضوي يعرف بـ "المخرج"، وهو ما سبق الحديث عنه في الفصل المتقدم، والآخر فيزيائي نفَسي يعرف بـ" الصفة"، وهو ما أنعُقِد له هذا الفصل. وهما معا يحددان الوجود الفعلي للصوت، كما لا يمكن إدراك الجانب الفيزيائي له دون تحقيق جانبه الأول؛ ذلك أنّ الأثر السمعي الذي يصل إلى آذاننا مرتبط بحركات أعضاء النطق«لأنّ معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة بمنزلة المحكِّ والمعيار»"[1]"، فهما إذن يكمِّلان بعضهما البعض.

ويعدّ مصطلح" الصفات" لدى ابن معطي أكثر عددا ونوعا ممّا قدّمه في مصطلح" المخارج"، فقد اعتمد أثناء معالجته لصفات الأصوات على تقسيمات ثنائية، وثلاثية، متقابلة متضادة، وأحيانا مفردة، سالكا في ذلك مذهب سيبويه.

بيد أنّ صاحب الألفية اكتفى بذكر المصطلح دون تحديد دلالته الاصطلاحية؛ ذلك أنّه في عهده بدا المصطلح متبلورا مكتفيا بذاته، لا يحتاج إلى توضيح، أو تعليق، أو وصف. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد آثر الإيجاز والاختصار فيما يقول تسهيلا للحفظ.

ولقد قسّم ابن معطي صفات الحروف إلى قسمين كبيرين: أصلي وفرعي، وقسّم الأصلية إلى قسمين أيضا: على أساس جريان النفَس وتوقّفه، وجعله لصفتي الجهر والهمس. وقسم ثانٍ على أساس انحباس الصوت وانطلاقه، وجعله لصفات:
الشدة، والتوسّط، والرّخاوة؛ وهذه الأقسام الخمسة جميعها تعدّ الصفات الأصلية أو الأساسية للحروف.

---

1 ـ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص277.

وأما الصفات الفارقة أو الثانوية فهي عنده تلك التي تتحدّد وفق الأوضاع المختلفة التي تتّخذها أعضاء الجهاز عند النطق بالصوت كصفة الانحراف، والإطباق. ومجموع الصفات التي ذكرها ابن معطي ثلاث عشر صفة، وهي:

1- الجهر.
2- الهمس.
3- الشدة.
4- التوسط.
5- الرخاوة.
6- الاستعلاء.
7- الإطباق.
8- الانحراف.
9- التكرار.
10- الهاوي.
11- الغنة.
12- الاستطالة.
13- الصفير.

هذا مجمل الصفات التي جاء ذكرها في متن ألفية ابن معطي، وسنحاول ترصّد كل صفة على حدةٍ، مبيِّنين في المقام الأول مجال توظيف ابن معطي لها في ثنايا ألفيته؛ وذلك بالاعتماد على ما ورد في شرح ابن جمعة.

الجهر:

الأصل في الجهر من حيث اللغة؛ الظهور والبروز والعلانية، قال ابن منظور: «جهَر بالقول إذا رفع به صوته، فهو جهير، وأجهر، فهو مُجْهِرٌ إذا عرف بشدة الصوت وجهر بالشيء: علن وبدا، وجهَر بكلامه

ودعائه وصوته وصلاته وقراءته يجهَر جهْراً وجِهاراً.»"[1]"، كان هذا دلالة مصطلح" الجهر" لغة.

وأمّا مفهومه في اصطلاح اللغويين فهو« انحباس جري النفَس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج. سمِّيت لذلك لأنّه يُجهَر بها عند التلفّظ لقوّتها وقوة الاعتماد عليها»"[2]"، فالصوت المجهور إذن هو الصوت المرتفع القويّ.

وقد ورد لفظ" الجهر" عند ابن معطي في حديث الصفات، بحيث ذكره كصفة من صفات الأصوات، ودلّل عليه مستعملا لفظ" المجهورة"[3]"، وفي النص الآتي يتجلى توظيف ابن معطي لهذا الاصطلاح، قال الشارح:« الجهر وأشار إليه بقوله مجهورة وهي تسعة عشر حرفا وهي ما عدا المهموسة ويجمعها قولك لقد عظم زنجي ذو أطمار غصبا... إنّما سميّت مجهورة لاتساع اعتماد الحروف من مخارجها ومع"[4]"النفَس أن تخرج معها لأنّ الجهر ارتفاع الصوت فهو ضد الهمس»"[5]". أوضح الشارح في هذا النص الأصوات المجهورة، وأبان معنى الجهر الذي أشار إليه ابن معطي من خلال توظيفه لكلمة" المجهورة".

وإنّ التركيبة اللغوية لهذا التعريف تتألّف من شطرين مهمّين:

1- اتساع اعتماد الحروف من مخارجها.

2- منع النفَس أن تخرج معها.

---

1 -ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص478، مادة(جهر)، ع:1، س:2.

2 - قحطان عبد الرحمان الدوري وفرج توفيق وليد، قواعد التلاوة، ص25، مط: جامعة بغداد، 1400هـ- 1980م.

3 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:18

4 - الأصل هو، منع.

5 -(باختصار)، علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1371-1372 ، س:20.

ولستجلاء معنى" الجهر" عند ابن جمعة متوقّف على فهم واستنباط دلالة هاتين العبارتين المؤلّف منهما التعريف، ومن ثمّ تحديد البعد الدلالي الاصطلاحي للجهر عند ابن معطي، ومقارنة نظرته مع غيره ممّن تقدّمه وعاصره ولحِقه.

وقبل المضيِّ في شرح هذه التعابير الوصفية التي استعان بها الشارح لتوضيح معنى الجهر عند صاحب الألفية، نستجلي دلالات بعض الألفاظ الواردة في ثنايا التعريف، وذلك بالاعتماد على تفاسير بعض المحدثين لمعنى الجهر عند قدامى العربية.

- الاعتماد: هو عملية إصدار الصوت، يقول إبراهيم أنيس:« وليس الاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت، تلك العملية التي تلازم النفَس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي»"1" من الجهاز النطقي.

- المخرج: هو مكان التقاء أعضاء النطق التي يخرج منها الصوت بعد أن كان نفَسا.

- النّفَس: هو الهواء الصاعد من الرئتين حرا طليقا، ويقول فيه عبد القادر مرعي خليل:« النفَس وهو الهواء الخارج من الرئتين ولا يحمل ذبذبة صوتية»"2" قبل وصوله أعلى القصبة الهوائية.

1- اتساع اعتماد الحروف من مخارجها:

أفادت هذه العبارة أنّ الهواء الصاعد من الرئتين حرا طليقا يتوقف في موضع من مواضع الجهاز النطقي فترة من الزمن عند حاجز يعترض مساره، فيمتلئ الموضع بالنفَس ثم تنفتح طريقه فجأة بزوال الحاجز،ويُدرَك فيه صوت جهير مرتفع.

---

1 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص101.

2 - عبد القادر مرعي الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، ص92.

وقد ذهب عبد الصبور شاهين في معنى عبارة(**إشباع الاعتماد**)« أنّ للمجهور موضعين: موضعا في الفم هو مخرج الحرف، وموضعا في الصدر هو مخرج الجهر، ولذا كان المجهور مشبعا، لقوة اعتماده بازدواجه، على حين كان المهموس ضعيفا، لما أنّه معتمد على موضع واحد هو مخرج الحرف»"[1]. وهذا الرأي يزكي منظور ابن جمعة ويؤكده؛ **فالقول بازدواج الاعتماد** (للمجهور موضعين يعتمد عليهما) هو على حدِّ فهمنا ما قصده شارح الألفية وأشار إليه من خلال استعماله هذا التعبير(**إتساع** اعتماد الحروف من مخارجها).

2- منع النفَس أن تخرج معها:

يريد أن يقول من خلال هذه العبارة، **إنّه مع** الصوت المجهور يكون المنع التام للنفَس الصاعد في موضع من مواضع جريانه توقفا تاما، مما يكسبه صفة القوة، **وذلك لكثرة وقوة الاعتماد**.

وندرك ممّا سبق، أنّ معنى" الجهر" عند ابن معطي كما أبانه الشارح هو أنّ النفَس الجاري الخارج من الرئتين حرا طليقا يتوقف في موضع من مواضع الجهاز النطقي(**في موضع الحنجرة** حيث يقع **الوتران** الصوتيان)ُ برهَة من الزمن عند حاجز يعترضه، فينضغط النفَس ثم ينفتح الممرّ بزوال الحاجز وضعف الاعتماد ويحدث انطلاق مفاجئ يعرف فيه صوت مجهور.

ثم إنّ الصفة المميِّزة للجهر هي توقف الهواء أو النفَس كلية ثم تسريح جريانه فجأة، ويدلّ هذا **على**أنّ النفَس في المجهور يقلّ بسبب انحباسه بخلاف المهموس. ويتّضح ممّا سبق أيضا، أنّ الدلالة الاصطلاحية لمصطلح" الجهر"مستمدة من الدلالة اللغوية، لأنّ الجهر هو« **ارتفاع الصوت**»"[2]. فالمجهورة إذن عند ابن معطي هي تسمية

---

1 - عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، ص202 **ط**: مؤسسة الرسالة- بيروت، **ط**:2، 1985م.

2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1372،**س**:2.

صوتية فيزيائية أختُصت في الدلالة على الأصوات التي تتسم بالتوقف التام للنفَس في موضع من مواضع جريانه، ثم يتحول النفَس إلى صوت عند زوال الحاجز وضعفه.

والأصوات التي تنضوي تحت هذا المصطلح عند ابن معطي كما بيّنها الشارح، هي:(اللام، والقاف، والدال، والعين، والظاء، والميم، والزاي، والنون، والجيم، والياء، والذال، والواو، والهمزة، والطاء، والألف، والراء، والغين، والصاد، والباء). وإنّ ابن معطي في القول بهذا الاصطلاح(المجهورة) يستعمله في مدلوله الدقيق للدلالة على ما يقصده منها دون الالتجاء إلى تعابير وصفية إضافية، لأنّ معنى المصطلح كان معروفا من قبل.

وفي هذا، يقول سيبويه:« فالمجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»"1"، ومعنى هذا، أنّ الصوت المجهور عنده هو الذي يتميّز بتوقف النفَس في موضع من مواضع الجهاز النطقي، ويتشبّع الموضع ويمتلئ بالنفَس، ثم يحدث انطلاق مفاجئ، يدرك فيه صوت جهير. وشاع هذا التعريف عند أكثر العلماء الذين أتوا بعده، وأعيدت عباراته دون زيادة أو نقصان، نرى ذلك عند ابن جني، والخفاجي، والزمخشري، والأنبا ري"2".

ومن هنا،فإنّ معنى" المجهورة" عند ابن معطي واضح، ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به، لاستقرار معنى المصطلح من جهة، وللصلة الوثيقة بين معناه اللغوي والاصطلاحي، من جهة أخرى. وبهذا يكون قد أكد ما ذهب إليه سابقوه في القول بهذا الاصطلاح،

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.

2 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص60/ والخفاجي، سر الفصاحة، ص30/ والزمخشري، المفصل، ص547/ والأنباري، أسرار العربية، ص423.

وباختصاص الدلالة على الأصوات التي أجمع عليها قدامى العربية من قبل دون إضافة تذكر.

ولم يختلف المحدثون في تفسيرهم لمعنى الجهر وتوظيفهم إيّاه عمّا جاء به ابن معطي من قبل، حيث يقول محمود السعران:« يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة. وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية... هذه النغمة الصوتية تسمى في الاصطلاح الصوتي" الجهر" كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة" الأصوات المجهورة"»[1]. والملاحظ أنّ محمود السعران يستعمل لفظ" الوتران الصوتيان" في تفسير معنى الجهر.

وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عما ذكره ابن معطي من قبل، والجديد في هذا النص، أنه ربط صفة الجهر بتذبذب الوترين الصوتيين أو اهتزازهما، وأسعفتهم في ذلك الوسائل الحديثة والمختبرات العلمية المجهزة بالآلات المساعدة التي تستعمل في الكشف عن أعضاء الجهاز النطقي.

ولم يختلف المعاصرون أيضا في تصنيفهم للأصوات المجهورة مع ابن معطي إلا في ثلاثة أصوات، وهي:(الطاء، والقاف، والهمزة)، ومردّ هذا الاختلاف فيما يبدو إلى تغير نطق هذه الأصوات الثلاثة.

وكان السبب في وجود هذا الاختلاف، قصور الأدوات التي كانت تستخدم في التعرّف على أجهزة النطق، ولذلك كانوا يستعملون في الأغلب وضع اليد على الحنجرة للتعرّف على مواضع الأصوات في الجهاز الصوتي، إلا أنّ هذا الاختلاف كان اختلافا ضئيلا جدا موازنة مع مقدار الاتفاق الذي كانوا يجمعون عليه.

---

1 - (باختصار)، محمود السعران، علم اللغة، ص146-147.

كما يمكن القول، إنّ هذا الاختلاف هو اختلاف عرضي وليس جوهريا، فقد صنفوا الأصوات إلى مجهورة ومهموسة على أساس إشباع النفَس وقوّته، والقول بقوة تذبذب الوترين الصوتيين أو ضعفهما ما هو إلا ثمرة لجهود قدامى العربية، ومن بينهم ابن معطي فقد أدركهما هؤلاء، بيد أنّهم لم يتعرّفوا عليهما للسبب المذكور آنفا. وبهذا ينتهي حديث مصطلح" الجهر" عند ابن معطي، ليتابع كلامه في مقابل الجهر وهو الهمس.

الهمس:

إنّ الهمس هو الصوت الخفِيّ المنخفض، وهو مصطلح صوتي فيزيائي نفَسي تناوله ابن معطي في حديث الصفات"[1]. وحدّده الشارح في النص بقوله:« الهمس وأشار إليه بقوله مهموسة وهي عشرة يجمعها قولك: سكت فحثّه"[2]، أوستشحك"[3] خصفة وهو أخصر من الأول... وإنّما سميت مهموسة لضعف الصوت بها عند اعتمادها على مخارجها إذ الهمس هو الصوت الخفي وفي التنزيل:فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً)"[4]لأنّ هذه الأحرف لمّا ضعف الاعتماد ولم تمنع النفَس من الجري معها صارت كالمنسلِّ مع النفَس فخفي صوتها لذلك»"[5]. ويحدد هذا النص توظيف ابن معطي لمصطلح" المهموسة"، ويوضح البعد الدلالي الاصطلاحي له.

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:15.

2 - الأصل هو: حثّه.

3 - الأصل هو:ستشحك.

4 -سورة: طه، الآية: 108، وتمام الآية، قال الله تعالى:(يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وخَشَعَتِ الأَصواتُ للرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً).

5 - (باختصار) علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1371،س:13.

فالمهموسة هي صفة للصامت الذي يصدر عن جريان النفَس أثناء حدوثه لضعف الاعتماد في مخرج الحرف، وأصواته عشرة، وهي: السين، والكاف ، والتاء، والفاء، والحاء، والثاء، والهاء، والشين، والخاء، والصاد.

وابن معطي في قوله بهذا الاصطلاح لم يكن مجددا، وإنما أورده بنفس اللفظ، والدلالة مثلما استعمله غيره، فهذا سيبويه يقول:« فالمهموسة: حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه»"[1]. ومعنى هذا،أنّ الهمس ينتج عن ضعف الاعتماد في موضع حدوث الصوت فيحصل تسرّب النفَس مع الصوت عند خروجه يدرك فيه صوت مهموس، خفي.

ومن ثمة، يكون ابن معطي قد أكّد ما ذهب إليه سابقوه في القول بمصطلح "المهموسة" كمصطلح صوتي فيزيائي أختُصّ في الدلالة على الأصوات التي تتمّ فيها صفة الهمس، الذي هو عبارة عن جريان النّفَس مع الصوت أثناء حدوثه.

وأما بالنسبة لعلماء اللغة المحدثين، فالهمس عندهم، هو كما حدده محمود السعران في قوله:« قد ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالا للنفَس أن يمرّ خلالهما دون أن يجابهه أي اعتراض، وهذا يحدث ما يسمى في الاصطلاح الصوتي بـ" الهمس"(مقابل" الجهر"). وتسمى الأصوات التي تنطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع الأصوات" المهموسة"»"[2].وهي أقلّ وضوحا من المجهورة.

وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عما ذكره ابن معطي من قبل، والجديد عندهم، هو ربط صفة الهمس بانفراج الوترين الصوتيين، في

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.
2 - محمود السعران، علم اللغة، ص146.

حين لم يرد ذكرهما عند ابن معطي على ضوء تفسير ابن جمعة، وإنما استخدم عبارة(ضعف الاعتماد)، ومردّ هذا إلى عامل الثقافة، والمنهج كما سبق وأن بيّنا في الأصوات المجهورة.

وبهذا ينتهي حديث الجهر والهمس عند ابن معطي، وسابقيه، ولاحقيه من قدماء، ومحدثين. وإذا كان الجهر والهمس أساسهما جريان النَفَس، أو توقفه في الممر الهوائي، فإنّ هذا الصوت بدوره يتصف بأوصاف تختلف باختلاف وتفاوت إدراكه، وهي: الشدة والرخاوة والتوسط، وأولها:

الشدّة:

الأصل في الشدة من حيث اللغة« الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في جواهر الأعراض، والجمع شِدَدُ؛... وشيء شديد: بيِّن الشدة. وشيء شديد: مشتدّ قويّ »"[1]"، فالدلالة المعجمية للشدة هي الصلابة والقوة.

وفي المجال الصوتي ذكره ابن معطي في مبحث صفات الحروف، ودلّل عليه مستخدما لفظ" الشديدة""[2]". وحدده ابن جمعة قائلا:« والأحرف الشديدة ثمانية يجمعها قولك: أجدت طبقك أو أجدك قطبت. والشدة انحصار صوت الحرف في مخرجه، ألا ترى أنّك إذا قلت الحج امتنع مدّ الصوت فيه. وأصل الشدة القوة وذلك أنّ الصوت لمّا انحصر في مخرج الحرف اشتدّ وقوى، لامتناع قبوله التليين»"[3]". ويحدد هذا الحديث توظيف ابن معطي لمصطلح" الشديدة"، ويوضح البعد الدلالي الاصطلاحي له.

---

1 - (باختصار)، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص407، مادة(شدد)، ع:3،س:10.

2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:16.

3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1372،س:11.

والصوت الشديد وفق تحديد الشارح، هو الذي يحدث في موضع من مواضع الجهاز النطقي ينسدّ مجراه، ويتوقف الصوت في ذلك الموضع مدة زمنية بسب التقاء العضوين التقاء محكما، ثم ينفتح طريقه فجأة فيحدث في ذلك الموضع صوت شديد، قوي يشبه الانفجار. وأصواته ثمانية، وهي: الهمزة، والجيم، والدال، والتاء، والطاء، والباء، والقاف، والكاف.

إنّ ابن جمعة في تعريفه لمصطلح" الشدة" عند ابن معطي، قد أشار إلى الفارق بين المجهور والشديد، حيث قال(الصوت لمّا انحصر في مخرج الحرف اشتد وقوي)، ولم يقل(انحصار النَفَس)؛ وذلك أنّه في الشدة ينحصر الصوت في موضع حدوث الحرف، بينما في الجهر يمنع النفَس من الجري. وفي عبارته وضوح يبعد اللبس بين الشديدة والمجهورة.

ومن هنا، نستنتج مدى التطابق المعنوي اللغوي والاصطلاحي، لأنّ الشدة لغة، هي القوة والصلابة. ومنه الحروف الشديدة التي اشتدت، وقويت نتيجة الانحصار أو المنع التام للصوت في موضع النطق. وعليه، فقد جاءت لفظة الشديدة" عند صاحب الألفية دالة بدقة على الأصوات المتقدم ذكرها التي يتم فيها المنع التام للصوت في مخارجها.

والملاحظ هنا،أنّ ابن معطي اكتفى بذكر المصطلح دون أن يقدم تعريفا اصطلاحيا للمفردة، وذلك لشعوره بوضوحها، لأنها كانت مستمدة من دلالتها اللغوية، ولأنّ معنى المصطلح كان معروفا منذ سيبويه، ولذا اكتفى به(الشديدة) وبالاصطلاح على التسمية به.

كما استعمله سيبويه من قبل، وعرّفه قائلا:« ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه»"[1]، فضابط الشدة عند سيبويه هو منع الصوت في مخرج الحرف. وأما المبرد فقد استخدم لفظ" النفس" عوضا عن" الصوت"، حيث قال:« ومنها حروف تمنع النفَس وهي التي تسمى الشديدة»"[2]، ويفهم من النص أنّ الصوت الشديد، هو عبارة عن توقف النفس في موضع حدوثه.

وما يلاحظ على تعريف المبرد للشدة، أنّه يلتبس مع معنى الجهر؛ ذلك أنّ الصوت المجهور يُعرف أيضا بضابط توقف النفس، غير أنّ المبرد اتفق مع سيبويه في معنى الشديد بالرغم من مخالفته إياه في نص العبارة؛ لأنّ صاحب المقتضب كان يدرك أنّ توقف الصوت يستلزم بالضرورة توقف النفَس، والعكس صحيح، ولعلّ هذا هو السبب الذي جعله يستخدم لفظ" النفَس" عوضا عن" الصوت".

غير أنّنا نميل إلى تعريف سيبويه أكثر من ميلنا إلى تحديد المبرد، لأننا نلفي في مفهوم سيبويه لمصطلح الشدة وضوحا، ودقة، كما أنه التعريف الذي تردّد على ألسنة أكثر العلماء الذين تلوه.

وأما الزمخشري فقد أتى بتعريف أبين وأوضح من تعريف سيبويه، والمبرد، وذلك في قوله:« والشدة أن يحصر صوت الحرف في مخرجه فلا يجري»"[3]، لقد استعمل الزمخشري تعبيرا وصفيا مغايرا للتعبير الذي أتى به سيبويه،وهي أكثر بيانا من عبارة سيبويه، ممّا يدلّ على تدرّج وضوح معنى الشدة لديهم.

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.
2 - المبرد، المقتضب، ج1-2، ص224.
3 - الزمخشري، المفصل، ص547 .

وبهذا، نستنتج أن ابن معطي قد أفاد من كل ما جاء به غيره، وما يذكر لابن معطي من فضل هنا، أنه أجاد في استخدام مصطلح" الشديدة"، بحيث يُعرَف من خلالها معنى المصطلح وأصواته، وتغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، ومردّ هذا كما قلنا سابقا وضوح معنى المصطلح من قبل واستقراره.

ولم يختلف المحدثون في تفسيرهم لمعنى مصطلح" الشدة" عما جاء به ابن معطي من قبل، والجديد عندهم هو اصطلاحهم على هذه الأصوات بالانفجارية التي تتكون« بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع. وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، فهذه الأصوات باعتبار الانفجار تسمى الانفجارية PLOSIVES»"[1]. ويظهر من كلامه هذا أنه اعتمد على عملية التصويت التي تكون بغلق ممرّ الهواء ثم انفتاحه فجأة، وهو ترجمة للفظ الأجنبي(PLOSIVES).

كما استعملت ألفاظ أخرى جديدة للدلالة على المصطلح نفسه، نذكر منها: لفظ" الوقفية" الذي استخدمه أحمد مختار عمر"[2]، واستخدم ريمون طحان لفظ" الانسدادية"[3]. ولكن بتفحص هذه الألفاظ نجدها لاتبتعد في مدلولها عما قاله ابن معطي بل إنّها هي، عدا أنّها تحاول الخروج من حدود مصطلحه الذي وضعه لها فيعجزها الحال، وهذه الاختلافات في وضع المصطلح أيضا، ليست خلافات في الوضع أصلا، وإنّما هي خلافات في الترجمة، فكثير من هذه الألفاظ زيادتها تعود إلى ترجمات من اللغات الأخرى تختلف من شخص إلى آخر.

---

1 -كمال محمد بشر، علم اللغة العلم- الأصوات، ص100.
2 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص97.
3 - ريمون طحان، الألسنية العربية، ص49.

وكان الأجدر بعلماء العربية المحدثين النظر إلى نتائج أبحاث القدماء، وإقرار المصطلحات التي استخدموها، إلا إذا كان هناك قصور في المصطلح القديم، وقد يكون المفهوم قاصرا ولكن المصطلح كما هو معروف يثبت بالاستخدام، والشديدة تؤدي معنى التوقف التام للصوت في مخرج الحرف ثم ينطلق فجأة فيحدث في ذلك الموضع صوت شديد قوي.

الاسترخاء:

الاسترخاء في اللغة؛ هو السَّعة واللين بعد ضيق وشدة؛ يقال« استرخى به الأمر: **وقع في رخاء بعد شدة**... ويقال: استرخى به الأمر واسترخت به حاله **إذا** وقع في حال حسنة بعد ضيق **وشدة**. واسترخى به الخطب أي أرخاه خطبه ونعّمه وجعله في رخاء وسعة»"1"، ومن هنا يظهر أنّ الاسترخاء يقابله الشدة والصلابة.

وأما في المجال الصوتي فقد جعله ابن معطي مقابل مصطلح" **الشدة**"، ودلل عليه مستخدما لفظ" المسترخية"2". وبيّنه **الشارح في** قوله:« **الاسترخاء وأشار** إليه بقوله: مسترخية. وتسمى الرخوة أيضا وهي ثلاثة عشر حرفا: الصاد والضاد والحاء والخاء والسين والشين **والدال**"3" والزاي والهاء والطاء"4" والعين"5" **والفاء والباء**"6" ويجمعها: عص سه فحصر خدث شط"7". وسميت بذلك لجري الصوت معها عند

---

1 - (باختصار)، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص56، مادة(رخا- ردج)، ع: 1، س:41.

2 - **ابن معطي، متن ابن معطي، ص95،س**:16 .

3 -الأصل هو: **الذل**.

4 -الأصل هو: **الظاء**.

5 -الأصل هو: الغين.

6 - الأصل هو: **الثاء**.

7 -**الأصل** هو: غض سه فحصز خذث شظ.

النطق بها لضعف الاعتماد»[1] ويفهم من كلامه أنّ الصوت الرِّخو هو الذي يصدر عن اتساع وانفتاح الممرّ الهوائي، وارتخاء أعضاء الجهاز الصوتي عند النطق بالحرف، والسِّمة المميِّزة له هي جريان الصوت.

وعليه، فقد استخدم ابن معطي لفظ" المسترخية" استخداما في موضعه للدلالة على الأصوات التي تتصف بجريان الصوت أثناء حدوثها في سهولة ولين لاتساع الممرِّ الهوائي وانفتاحه، والأصوات التي اختُصّت بهذه الصفة عند ابن معطي، هي: الصاد، والضاد، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والذال، والزاي، والهاء، والظاء، والغين، الفاء، والثاء.

ومن هنا، نستنتج مدى التطابق المعنوي اللغوي والاصطلاحي، لأنّ الاسترخاء لغة هو السعة ومنه " الحروف المسترخية" التي تعني سعة الممرّ الهوائي وانفتاحه وارتخاء أعضاء الجهاز الصوتي عند النطق مقابل انغلاقه أو انسداده (الممر الهوائي) مع الأصوات الشديدة، وإذا كان لاشتقاقه من الاسترخاء دليلا على مطابقة دلالته الاصطلاحية لمنعه اللغوي المعجمي.

وليس ابن معطي هو أول من من قال بذلك، وإنما شاع ذلك في كتب اللغويين من قبل، فقد ورد ذكره عند سيبويه، وعرّفه قائلا:« الرخوة وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قلت:" الطسّ " و" انقضْ "، وأشباه ذلك، أجريت فيه الصوت إن شئت»[2]. والضابط الذي يُعرف به الصوت الرخو عند سيبويه، هو جريان الصوت أثناء حدوثه في موضعه، بحيث يمرّ الهواء حرا طليقا

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1372،س:3.
2 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.

من غير أن يعترض مجراه حائل يعوق سيره، ومثّل لذلك بكلمة" الطسْ ".

ونلاحظ هنا استمرار الصوت وجريانه عند النطق بصوت السين، وهذا يدل دلالة مؤكدة على اتساع الممر الهوائي عند النطق بهذه الأصوات.وقد استقرّ مفهوم مصطلح "الرخاوة" عند سيبويه لدى أغلب الدارسين العرب الذين أتوا من بعده، ومن هؤلاء نذكر: المبرد، وابن جني، والخفاجي، والزمخشري"[1].

وبهذا نستنتج، أنّ ابن معطي قد أفاد من كل ما جاء به غيره، فقد جاءت لفظة" المسترخية" دالة دلالة مؤكة على معنى المصطلح وأصواته. وما يذكر له من فضل هنا, أنه أجاد في استخدام المصطلح، فقد ورد مصطلح" المسترخية" عنده مركّز الدلالة، سليم وسهل الاستعمال، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة، وهذا يدل على تذوّقه الرفيع للألفاظ بحيث أولى ولاية شديدة في اختيار اللفظ الدقيق الذي يُعرَف من خلاله مدلول المصطلح.

ولم يختلف المحدثون في تفسيرهم لمعنى الاسترخاء عما جاء به ابن معطي من قبل، والجديد عندهم هو اصطلاحهم على هذه الأصوات بلفظ "الاحتكاكية" لأنها تتكوّن« بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا»"[2].ويفهم من كلامه أنّ الهواء الصاعد من الرئتين قد يصادفه تضييق لا انسداد (كما هو الحال في الانفجارية) بحيث يسمح هذا التضييق بتسرّب الهواء من هذا الموضع فيحتك الهواء بعضويَْ المخرج، فيحدث في ذلك الموضع صوت احتكاكي.

---

1 -المبرد، المقتضب، ج1-2، ص225/ وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص61/ والخفاجي،سر الفصاحة، ص20/ والزمخشري، المفصل، ص547.

2 - محمود السعران، علم اللغة، ص189.

وهناك من استخدم لفظ "الاستمرارية" **للدلالة على استمرار الصوت عند النطق بالحرف**"[1]. **ونجد المصطلحات** المختلفة التي وظفها علماء اللغة المحدثون لا تختلف في دلالتها على معنى مصطلح" المسترخية" التي استخدمه ابن معطي من قبل، ولاسيّما أنّ الأصوات الرخوة لدى ابن معطي هي نفسها عند المحدثين عدا صوت الضاد الذي أخرجه المعاصرون منها وأدخلوا بدلا عنه صوت العين.

كما أضاف صبحي الصالح إليها أصوات المد الثلاثة"[2]، ليصير المجموع ستة عشر صوتا بدل ثلاثة عشر حرفا، ويرى مكي درار أنّ سبب الخلاف يرجع إلى أنّ هؤلاء(المحدثين)« **نظروا للأصوات على** ما هي عليه في نطقهم الحالي. أو الذين ترجموا مصطلحات أجنبية إلى العربية»"[3]، وهو الذي نميل إليه.

بين الشدة والرخاوة:

لقد ورد ذكر مصطلح" بين الشدة والرخاوة" في متن ألفية ابن **معطي في** حديث الصفات، إذ جعله صفة تمييزية لمجموعة صوتية أختُصت به، ودلل عليه **مستخدما لفظ**" بينهما"[4]. وعرّفه ابن جمعة **قائلا**:«ما بين الرّخاء والشدة وهو المراد بقوله بينهما أي بين الرخوة والشديدة. وهي ثمانية أحرف يجمعها لم يروعنا. وقيل هي خمسة أحرف يجمعها لم ترع. وإنّما كانت هذه بين الشديدة والرخوة لأنها لم يتم فيها **انحصار** الصوت، ولا تمّ فيها جريانه، فالعين لشبهها بالحاء كأنها تنسلّ عند الوقف إلى الحاء، فليس لصوتها الانحصار التام، ولا جري

---

1 - **أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص**97.
2 - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص281.
3 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص246.
4 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،**س**:16.

الرخوة فهي بينهما»"1". ويحدد هذا الحديث توظيف ابن معطي لمصطلح" بينهما"، ويوضح البعد الدلالي الاصطلاحي له.

والصوت الذي بين الشدة والرخاوة، هو ليس بالشديد ولا بالرخو فهو يجمع بين الصفتين ومن غير أن يكون منهما فهو إذن مستقل، ذلك أنّه مع الصوت المتوسط لا يكتمل انحصار الصوت فيه كما هو الحال في الشديد، ولا يجري كجريانه مع الرخو، وإنما يضيق الممرّ الهوائي معه من غير أن يحدث احتكاكا كما هو في الرخوة، فهو إذن صوت شديد تخلّل نطقه مرور الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة ومن هنا جاءت التسمية.

ومن ثَمّ، نستشف أنّ ابن معطي قد استخدم لفظ" بينهما" في التعبير عن الأصوات التي لم تتم فيها صفة الشدة، كما لم تتم فيها صفة الرخاوة، وإنما كانت تجمع الصفتين، والأصوات التي يصدق عليها هذا الوصف عنده ثمانية، وهي: اللام، والميم، والياء، والراء، والواو، والعين، والنون، والألف. وابن معطي في قوله بهذا الاصطلاح الدال على الأصوات التي ليست بالشديدة ولا بالرخوة، لم يكن مجددا، وإنما أورده بنفس اللفظ والدلالة مثلما استعمله غيره من قبل، فهذا سيبويه يقول: «وأما العين، فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء»"2". وحافظ قدامى العربية على مصطلح سيبويه، واستعملوه في دراساتهم، واختلفوا كثيرا في أصواته، فقد أطلق سيبويه من قبل مصطلح" بين الشدة والرخاوة" على صوت العين فقط، بينما خصصه المبرد لستة أصوات، وهي:(العين، والنون، وحروف المد الثلاثة، والراء)"3"، وسماها المتوسطة.

---

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1372،س:19.

2 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.

3 - المبرد، المقتضب، ج1-2، ص225، ت: حسن حمد.

وأما ابن جني فقد أضاف إلى الأصوات التي ذكرها المبرد في عصره صوتين اثنين، وهما:(الميم، واللام) ليصير عدة الأصوات المتوسطة ثمانية أحرف جمعها في قوله(لم يرو عنا)"[1]. **وبقي مصطلح"** بين الشدة والرخاوة" مستقرا بأصواته بعد ابن جني عند أكثر العلماء **كالخفاجي، والزمخشري، و**الأنباري، وغيرهم"[2].

ومن هنا، فإنّ مصطلح" بين الشديدة والرخاوة" إذن هو من المصطلحات التي استعملها ابن معطي، كما كانت عند غيره من العلماء اللغويين من قبل كسيبويه وابن جني، وهو عنده واضح ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به ولم يحدث أيّ تغيير فيه.

وأما بالنسبة للمعاصرين فقد فسروا معنى مصطلح" **التوسط**"« على أنه رغم التقاء العضوين مع بعض الأصوات قد يجد النفَس له مسربا يتسرّب منه إلى الخارج وحينئذ يمر الهواء دون أن يحدث أي نوع من الصفير أو الحفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم **والراء**. ولعلّ هذا الذي دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أي ليست انفجارية ولا احتكاكية. **والمحدثون من** علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربهم على أنّ هذه الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لا هي بالشديدة ولا بالرخوة وسموها liqùids **أي الأصوات المائعة**»"[3]. ومفاد هذا الحديث أنّه مع المتوسطة يُترك مجرى الهواء كما هو دون إقفال أو تضييق بحيث يكون بينهما، فلا يتم له الانحصار التام في موضع الحرف، ولا جريانه فهي بينهما.

وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عما جاء به ابن معطي من قبل، والجديد في هذا النص، هو استخدام لفظ" **المائعة" بدل مصطلح"**

---

1 - **ابن جني،سر صناعة الإعراب**، ج1، ص61، ت: حسن هنداوي.

2 - **الخفاجي،سر الفصاحة**، ص20/ والزمخشري، المفصل، ص547/ **والأنباري، أسرار** العربية، ص423.

3 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص25.

بين الشديدة والرخوة"، وإن اختلف هؤلاء في التسمية فإنهم لم يختلفوا في معنى المصطلح وتوظيفهم إياه.

غير أنّ **كمال محمد** بشر تفرّد برأي في تفسير معنى هذا المصطلح، حيث قال: «ومهما يكن من أمر، فالواجب تفسير" **أصوات متوسطة**" **بأنها** متوسطة بين الصامتة والحركات لا بين الأصوات الشديدة والاحتكاكية، ويبدو أنّ من سماها كذلك من العرب قد خانه التوفيق في التعبير»"[1].ويستفاد من هذا النص، أنّ كمال **محمد بشر قد أتى** بتفسير مغاير تماما لما استقرّ عليه **الدرس الصوتي العربي** قديما وحديثا، مفاده أنّ التوسط يكون بين الأصوات الصامتة والأصوات **الصائتة(الحركات)** ويرى أنّ تفسير القدماء لمصطلح" **التوسط**" قاصر وغير دقيق، ولا يؤدي المعنى الدقيق من اللفظ، وهذا الرأي فيما يبدو مستبعد لأنه لم يحض بالقبول والإجماع من قِبل العلماء. ويبقى أنقى وصف وأدقه هو مااستخدمه ابن معطي من قبل.

وبهذا ينتهي حديث الصفات الأساسية للصوامت العربية المقامة **على مبدئ النَفَس**(الجهر والهمس)، **و المقامة على مبدئ الصوت (الشدة والرخاوة والتوسط)**. وتبقى بعد ذلك صفات فارقة أو ثانوية تأتي مكملة للصفات السابقة، يأتي عرضها فيما يأتي كما هي مبثوثة **في متن** ألفية ابن معطي:

الاستعلاء

الاستعلاء هو الارتفاع والصعود. **وفي المجال الصوتي، ورد** ذكر هذا المصطلح عند ابن معطي كصفة من صفات الحروف، ودلل عليه مستخدما لفظ "المستعلية"، من ذلك قوله:

---

1 - **كمال محمد بشر، علم اللغة العلم-قسم الأصوات**، ص127.

فإن« تَقَدَّمَ أحْرُفٌ مُسْتَعْلِيَة فَامْنَعْ الْإِمَالَةَ المُسْتَوْلِيَة»"[1]، وقال في موضع آخر:

«مهموسة مَجْهورَةٌ مُسترخيةٌ شديدةٌ بيْنَهما مستعلية»"[2]. ويتضح من هذه العيِّنة الموجزة مما أورده صاحب الألفية أنّ مصطلح" المستعلية" أستُعمل للدلالة على الأصوات التي تتصف بالاستعلاء، الذي أتى بيانه عند شارح الألفية في قوله: «الاستعلاء: وأشار إليه بقوله مستعلية وهي سبعة أحرف يجمعها: قض خص ضغط"[3]. وسميت بذلك لاستعلاء اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى أطبق أو لم يطبق. والانخفاض بخلافه»"[4].ويتبيّن من خلال هذا النص، أنّ اللسان مع هذه الحروف(قض خص ظغط) يرتفع مؤخره نحو الحنك الأعلى وما بقي من الحروف ينخفض معها اللسان، ومن ثمَّ جاءت التسمية.

ثم إنّ ابن جمعة في تعريفه لمصطلح" الاستعلاء" قد أشار إلى عملية عضوية أخرى قد تُفهَم من تعريفه للموضوع، وهو قوله" أطبق أو لم يطبق،" ذلك أنّ اللسان أثناء تصعده مع بعض الأصوات ينطبق بالحنك الأعلى، وهي حروف الإطباق(ط-ظ- ص- ض). في حين يرتفع مع(خ-ق- غ) نحو الحنك من غير إطباق.

وعليه،فإنّ الاستعلاء في معناه أعمّ وأشمل من الإطباق، لأنّه يحتوي حروف الإطباق والقاف والغين والخاء. ومن هنا، فإنّ" المستعلية" عند ابن معطي يستعملها في مدلولها الدقيق للدلالة على أصوات(قض خص ظغط) الموسومة بالاستعلاء؛ الذي سبق وأن حددنا الإطار الدلالي اللغوي والاصطلاحي له.

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص87،س:9.
2 - نفسه، ص95،س:16.
3 -الأصل هو:ظغط.
4 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:23.

ويتضح ممّا سبق، أنّ دلالة هذا المصطلح(الاستعلاء) قد تطورت وذلك بخروجها من الإطار الدلالي اللغوي إلى الإطار الاصطلاحي، وأصبح الاستعلاء في الدراسات اللغوية يخصّ حروف(قض خص ظغط) ومن هنا نلمس العلاقة الدلالية اللغوية منها والاصطلاحية، لأنّ الاستعلاء هو ارتفاع مؤخرة اللسان مع هذه الأصوات نحو الحنك الأعلى بالإطباق أو بغير إطباق.

وقد ظهر هذا اللفظ قبل ابن معطي عند سيبويه، غير أنّ هذا الأخير لم يرد عنده هذا المصطلح في حديث الصفات، وإنما أشار إليه في موضع آخر، حيث قال: «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»"1". ومعنى هذا، أنّ مصطلح" الاستعلاء" عند سيبويه أتى وصفا عابرا، بدليل أنه لم يذكرها في قسم الصفات، كما أنّ معنى المصطلح لم يكن محددا دقيقا عنده كما هو الحال في الصفات الأخرى الذي أتى وصفه لها دقيقا محددا. وجاء بعد سيبويه باحثون ولم يعيروا لهذه الصفة اهتماما كبيرا، واكتفوا بترديد كلام سيبويه، ومن هؤلاء نذكر: المبرد"2".

وأما ابن جني فقد ذكره كصفة من صفات الحروف، حيث قال:« ومعنى الاستعلاء: أن تتصعّد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها»"3". وميّز ابن جني في تحديده لمعنى هذا المصطلح الأصوات التي يتمّ فيها ارتفاع اللسان معها ناحية الحنك الأعلى وانطباقه عليه، وبيّن التي يرتفع معها اللسان من غير إطباق.

---

1 - (باختصار)، سيبويه، الكتاب، ج4، ص244، ت: إميل بديع يعقوب.
2 - المبرد، المقتضب، ج3- 4، ص38، ت: محمد عضيمة.
3 - ابن جني،سر صناعة الإعراب، ج1، ص62، ت: حسن هنداوي.

وعلى ضوء ما تقدم، نستشف أنّ استخدام ابن معطي للفظ" المستعلية" استخداما في موضعه، فقد بدا المصطلح لديه متبلورا، مكتفيا بذاته لا يحتاج إلى توضيح أو تعليق، وقد جاء لفظ" المستعلية" عنده واضح تمام الوضوح ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به.

وبهذا يكون ابن معطي قد أكّد ما ذهب إليه ابن جني من قبل في القول بالمستعلية كمصطلح صوتي فيزيائي أُختُصّ في الدلالة على أصوات(خص قض ظغ)، وتناقله معاصروه ولاحقوه فيما بعد أخصّ بالذكر: ابن يعيش، وابن الجزري"[1]. كما وظّفه بعض المحدثين، كامحمد بن يوسف اطفيش، وصبحي الصالح"[2].

الإطباق:

الإطباق لغة؛ الالتصاق. وفي المجال الصوتي ذكره ابن معطي في قسم الصفات، وأشار إليه مستخدما لفظ" المطبقة" حيث قال:
« مهموسةٌ مجهورةٌ مسترخيةٌ شديدةٌ بينهما مستعليةٌ مطبقةٌ منحرفٌ مكررٌ هاوٍ أغنّانِ طويلٌ صدُقَرُ »"[3]. إنّ المتتّبع لكلام ابن معطي يدرك أنّه يعرف وبدقة معنى كل لفظة ترد في عباراته:
1- ففي قوله (مستعلية مطبقة)، نلاحظ في كلامه هذا تقديم مصطلح "المستعلية" عن لفظ" المطبقة"، ويبدو أنّه استخدام دقيق يدل دلالة مؤكدة على أنّ معنى الاستعلاء أعمّ وأشمل من مفهوم الإطباق، وذلك أنّ الاستعلاء يشمل الحروف المطبقة ومعها(القاف والغين والخاء) بينما الإطباق أخصّ منه، وهي إشارة واضحة ودقيقة إلى

---

1 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص524/ وابن الجزري، النشر، ج1، ص203.
2 -امحمد بن يوسف اطفيش، الكافي في التصريف، ص164/ وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص282.
3 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:17.

المفارقة الاصطلاحية بين اللفظين. وعليه يمكن القول، **إنّ كل مطبق** مستعلٍ وليس كل مستعلٍ مطبقا، وسنفصل الحديث في هذه النقطة بعد حين.

2 – يتضح من استخدامه **لمصطلح" المطبقة"**،أنه يستعملها في مدلولها الدقيق للدلالة على الأصوات التي تتمّ فيها صفة الإطباق. **وقد** ذكر الشارح الأصوات المطبقة عند صاحب الألفية معرفا إياها بقوله:« **الإطباق: والمطبقة أربعة أحرف من حروف الاستعلاء والصاد والضاد والطاء والظاء.** وسميت بذلك لانطباق الحنك الأعلى على مخارجها من **اللسان** عند النطق بها»"[1]. ويتبيّن من خلال هذا **القول أنّ الحروف المطبقة** هي بعض الأصوات المستعلية لأنّ اللسان معها بعد الاستعلاء(ارتفاعه نحو الحنك الأعلى) ينطبق بالحنك الأعلى.

كما يحدّد هذا الحديث، توظيف ابن معطي لمصطلح" **المطبقة**"؛ فهي صفة للأصوات التي ينحصر الصوت فيها بين اللسان والحنك الأعلى نتيجة التصاق اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بها، وهي:(**الصاد والضاد والطاء والظاء**).

وهذا القول يتّفق والحقيقة التي أقرها سابقوه؛ فهذا سيبويه يقول:« **فأما المطبقة، فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء...** وهذه الحروف **الأربعة إذا وضعت** لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن **إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان** ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك، فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع **الحروف**»"[2]. ويفهم من كلامه أنّ الإطباق، هو عبارة عن انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك لالتصاق اللسان **بالحنك الأعلى بعد** استعلائه، والأصوات التي تنضوي تحت هذا المصطلح وفق تحديد سيبويه إياه أربعة أحرف، وهي:(**الصاد، والضاد، والطاء، والظاء**).

---

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:2.

2 - (**باختصار**)، سيبويه، الكتاب، ج4، ص575، ت: إميل بديع يعقوب.

وتبع القدماء الباحثون العرب مصطلح سيبويه وأصواته دون تغيير يذكر، فجاء بذلك: **المبرد، وابن جني، والخفاجي، والزمخشري، وغيرهم**"[1]".

ونستنتج مما سبق، أنّ مصطلح" المطبقة" استعمله علماء اللغة كسيبويه، وغيره، وتناقله ابن معطي عنهم،ولم يُحِدث أيّ تغيير. **وما** يذكر لابن معطي من فضل هنا، أنه أجاد في توظيف هذا المصطلح، وأحسن في توزيع الأصوات في شيء من التوازن بينها، بحيث جمع هذه الأصوت **مع**(القاف والغين والخاء) في مصطلح واحد وهو لفظ" المستعلية"، ثم أفرد أصوات الإطباق في مصطلح آخر وهو لفظ" **المطبقة**". وهو تحديد ذكي يتفق والدقة التي حرص عليها في ألفيته. **وقد** تداوله كثير من علماء عصره، **كالأنباري، وابن** يعيش، **وابن عصفور**"[2]"، كما وظفه ابن الجزري فيما بعد"[3]"، هذا عند القدماء.

وأما بالنسبة للمعاصرين فقد فسروا مصطلح" **الإطباق**" بأنه **عبارة عن** «ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه»"[4]". وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عما أشار إليه ابن معطي من قبل، فالحركة العليا التي يتخذها اللسان في اتجاه الطبق هي الضابط الذي يُعرَف به الصوت المطبق. وعليه، فهم لم يضيفوا جديدا في المجال الصوتي على ما جاء به صاحب الألفية إلا أوصافا توضيحية لما تصوروه في هذا الوصف.

---

1 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص61/ والخفاجي، سر الفصاحة، ص21/ **والزمخشري، المفصل، ص**574.

2 -الأنباري، أسرار العربية، ص424/ وابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص524/ وابن عصفور، الممتع في التصريف، ج2، ص674.

3 - **ابن الجزري، النشر**، ج1، ص203.

4 - تمام حسان، مناهج البحث **في اللغة، ص**18.

الانحراف:

الأصل في الانحراف الميل والعدول عن شيء سابق، وقد جاء في اللسان: وحَرَفَ عن الشيء حَرْفاً وانْحَرَفَ وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ: عَدَلَ. قال الأزهري وإذا مال الإنسان عن الشيء يُقال تحرَّف وانحرَفَ واحْرَوْرَفَ »[1]، فالدلالة المعجمية للانحراف هي العدول والميل.

وفي المجال الصوتي، ورد ذِكر المصطلح عند ابن معطي في موضع حديثه عن صفات الحروف، وأشار إليه مستخدما لفظ" المنحرف"[2].وذكر شارح الألفية الصوت المنحرف معرّفا إياه بقوله:« الانحراف والمنحرف: اللام فقط سمي بذلك لانحرافه إلى طرف اللسان، وقيل لانحرافه إلى مخرج الضاد، ولذلك إذا فخِّم قاربها في اللفظ»[3]. ومفاد هذا الحديث أنّ الانحراف هو ميل الصوت عن مخرجه، بحيث ينحرف اللام إلى طرف اللسان، وهي إشارة إلى كيفية مرور الهواء في مخرج اللام،ذلك أنّ تيار الهواء الصاعد من الرئتين يتجنب المرور بموضع اللامفينحرف مرور الهواء ويخرج من أحد جانبي اللسان بحيث يسمح له بالمرور بينه، ومن ثمَّ سمي منحرفا. ويتضح مما سبق، أنّ ابن معطي يستعمل لفظ" المنحرف" للتعبير عن صوت اللام الذي اُختُصّ بصفة الانحراف دون سواه.

وهذا الذي ذكره ابن معطي أصله عند سيبويه؛ الذي قال فيه قال: «المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت.وليس كالرخوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص62، مادة(حرض- حرف)، ع:3،س:41.

2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:17.

3 -علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:6.

من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك»"1". لقد بيّن سيبويه في هذا النص مفهوم هذا المصطلح وصوته.

ومن ثمة، يكون ابن معطي قد أكد ما ذهب إليه سابقوه في القول بمصطلح" المنحرف" كمصطلح صوتي نفَسي اختص به صوت اللام بالنظر إلى طبيعة مرور الهواء في موضع حدوثه. وما يذكر لابن معطي من فضل هنا، أنه أجاد في استعمال اللفظ الدقيق، المركز الدلالة بحيث يُعرَف من خلاله مدلول الكلمة دون حاجة إلى تعابير وصفية تدل على ما يقصده من اللفظ، وذلك لوضوح معنى المصطلح واستقراره من جهة، وللصلة الوثيقة بين معناه اللغوي والاصطلاحي من جهة أخرى.

التكرار:

التكرار لغة؛ الإعادة في الشيء، يقال:كرّر الشيء وكرْكرَهُ: أعاده بعد أخرىوالكرة المَرة، والجمع الكرات.ويقال كرّرْت عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدتُه عليه وكَرْكَرْتُه عن كذا كَرْكَرَةً إذا ردَّدتُه. والكر: الرجوع على الشيء، ومنه التّكرار»"2". كان هذا دلالة مصطلح" التكرار" لغة.

وأما عند ابن معطي فقد عبّر به عن صفة تخص صوت الراء، وأشار إليه بلفظ" المكرّر""3"، والصوت المكرّر كما حده الشارح قائلا:«التكرير والمكرّر هو الراء سمي بذلك لترديد اللسان في مخرجه عند النطق به واضطرابه. ولذلك نزّلوه منزلة حرفين، وحركته منزلة

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.
2 - ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص390، مادة(كرهم- كرر)، ع:1،س:16.
3 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:17.

حركتين. وفيه انحراف كاللام، إلا أنّ اللام ليس فيها اضطراب»"[1]. ويحدد هذا النص توظيف ابن معطي لمصطلح" المكرّر"، ويوضح البعد الدلالي الاصطلاحي له.

والمكرّر هو صفة للصامت الذي يصدر عن تكرير اللسان في موضع حدوثه أثناء النطق به تكرارا سريعا. وعليه، فقد جاءت لفظة" المكرّر" عند صاحب الألفية دالة بدقة على صوت الراء الذي اختص بالتكرار أثناء النطق به، دون حاجة إلى توضيح أكثر لوضوح معنى المصطلح.

فقدشاع مصطلح" التكرير" قبل ابن معطي وأصبح ثقافة واضحة يعكس مفهومه بصورة لا يحتاج معها إلى توضيح، أو تعليق، أو وصف إضافي، ويبدو أنّ أول من استخدم هذه اللفظة كمصطلح صوتي فيزيائي هو سيبويه، يتضح ذلك في قوله: «ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره»"[2]. ويُفهم من كلامه أنّ الصوت المكرّر هو الذي يحدث نتيجة ضربات اللسان المتتابعة والسريعة في مخرج الحرف أثناء النطق به. واستقرّ بعد ذلك عند جميع النحاة اللغويين العرب اللاحقين حتى يومنا هذا، لوضوح معناه ودقته. ومن هنا،فإنّ " المكرر" عند ابن معطي واضح تمام الوضوح ولذا اكتفى به وبالاصطلاح على التسمية به، وهو استخدام دقيق يغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة.

الهاوي:

الهاوي لغة؛ الساقط أو الهابط من أعلى دون التحكم في نفسه، أو الصاعد؛ قال ابن منظور:«هَوَى بالفتح، يَهْوي وهُوياً وهَوَياناً وانْهَوَى: سقط من فوق إلى أسفل... يقال:هَوِيَ يَهْوِي هَوِياً، بالفتح، إذا هبط،

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:8.
2 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.

وهَوِيَ يَهْوِي هُوِياً، بالضم، إذا صَعِدَ، وقيل بالعكس»[1]. كان هذا دلالة مصطلح" الهاوي" لغة.

وأما عند ابن معطي، فهو صفة من صفات الحروف[2]، **وقد ذكر** الشارح الصوت الهاوي معرفا إياه بقوله:« الهُوى: والهاوي هو الألف. ويقال له الهوائي. أما الأول فلأن اللسان يهوي به أكثر من هويه بالياء والواو، والهاوي مشتق من الهُوى بضم الهاء وهو الصعود والارتفاع لأن الألف تخرج من أقصى الحلق صاعدا إلى الحنك، فيتسع مخرجه لهواء الصوت والهَوى بفتح الهاء وهو الانخفاض»[3] **إنّ المتأمّل لكلام** الشارح تستوقفه بعض الملاحظات الهامة، وهي:

1- **ففي** قوله(أما الأول فلأنه يهوي به أكثر من هويه بالياء **والواو)**، إنه يتحدث هنا عن الصفة الفارقة التي بها تتميّز الألف عن أختيها الواو والياء، لاحظ التعبير المستخدم هنا(يهوي به أكثر من هويه بالياء والواو)، **فقد استعمل لفظ" أكثر"** على صيغة أفعل التفضيل، وكأنه أراد أن يشير بذلك إلى عمل اللسان في **أثناء النطق بأصوات المد الثلاثة.**

ومعنى هذا،أنّ الألف صوت يكون اللسان في أثناء نطقه منحطا في قاع الفم، وهي إشارة إلى أنه ليس **ثمّة** احتكاك للسان أثناء حدوثهما ولذلك اتسع لهواء الصوت مخرجه؛ أي حرية مرور الهواء عند النطق بالألف من غير أن يعترض طريقه إلى خارج **الفم عائق كاللسان أو** الشفتين. وأما الياء والواو فيظهر بعض الاحتكاك عن طريق اللسان أثناء حدوثهما في حالة لينهما.

---

1 - (باختصار)، ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص372، مادة(هوا)، ع:2،س:28.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:18.
3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:10.

وبهذا يفرق ابن جمعة بين الألف من جهة، والواو والياء من جهة أخرى؛ فالألف لا تخرج من المد، بينما الياء والواو قد يتحولان من المد المحض إلى حالة أخرى بحيث يظهر أثناء صدورهما بعض الاحتكاك عن طريق اللسان، فيكتسبان بذلك صفة اللين.

2- نلاحظ من خلال تعريف الشارح للصوت الهاوي، أنه ذهب إلى أنه من أصوات أقصى الحلق، وهو يعني بذلك أنها من الأصوات التي لها حيز تنسب إليه (أقصى الحلق)، ووجود مخرج لهذا الصوت يدل على أنه ثمة أثر للاحتكاك في إصدار الصوت ألا وهو الحلق، وكأنه يشير إلى أنه مع الألف تجد اللسان والشفتين منفتحين غير معترضين للصوت ومن ثمة اتسع مخرجه لأن الهواء يخرج خروجا حرا سلسا من غير أن يعترض طريقه حاجز يعوق سيره ومن ثمة جاءت التسمية.

ومن هنا، يمكن القول إنّ الصوت الهاوي عند ابن معطي هو الذي اتسع لهواء الصوت مخرجه، وهو الذي لا يعمل في حدوثه اللسان والشفتان، وهو **للألف. ومصطلح**" الهاوي" من مصطلحات الخليل **بن** أحمد الفراهيدي، فقد جاء في مقدمة العين قوله:« الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء»[1]. **وقد**خصّ الخليل هذا المصطلح لأصوات الألف والواو والياء، ويعني به حرية مرور الهواء في أثناء النطق بهذه الأصوات حرية تامة من غير حدوث احتكاك.

وأما سيبويه ففرّق بين هذه الأصوات قائلا:« الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الياء والو**او**، لأنك قد تضم شفتيك **في الواو وترفع** في الياء لسانك قِبَل الحنك، وهي **الألف**»2.والملاحظ هنا أنّ سيبويه **استعمل مصطلح**" الهاوي" للتعبير

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص64، ت: عبد الله درويش.

2 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص575، ت: إميل بديع يعقوب.

عن صوت الألف فقط؛ ذلك أنّه اعتبر أنّ الألف يتميز بشدة الاتساع بحيث لا يعمل معه اللسان والشفتان أثناء صدوره.

وهذا المعنى الذي استخدمه سيبويه، هو الذي شاع في كتب العلماء فيما بعد. فابن معطي إذن أكد ما ذهب إليه سيبويه من قبل في القول بمصطلح "الهاوي" كمصطلح صوتي نفسي اختص في الدلالة على صوت الألف الذي تتم فيه صفة الهاوي.

الغنة:

الغنة لغة؛ صوت يخرج من الأنف. وفي المجال الصوتي، ورد ذِكره عند ابن معطي في حديث صفات الحروف، وعبّر عنه بلفظ" أغنّان"[1]. و المتتبع لكلام ابن معطي يدرك أنه يعرف بدقة معنى كل لفظة ترد في عباراته، ففي قوله"أغنان"، إنه يتحدث هنا عن الغنة غير الخالصة التي تكون مع صوتي الميم والنون، حيث يشترك في نطقهما الأنف بالغنة مع لزوم اللسان لموضع حدوث الحرف، وبهذا يفرق صاحب الألفية بين الغنة باعتبارها صفة اختصت بصوتي الميم والنون، وبين الغنة التي هي صوت النون الخفية أو الخفيفة الذي مخرجها من الخيشوم.

وفي حديث ابن جمعة الآتي، يتجلى توظيف صاحب الألفية لمصطلح "أغنّان"، حيث قال:« الغنة والأغنّان الميم والنون، سميا بذلك لأن فيهما غنة تخرج من الأنف، لأن صوتهما لما اتصل بالخياشيم حدث منه صوت أغنّ. فقوله:
«أغنّان هو تثنية أغنّ »[2]. لقد جاء لفظ" أغنان" لدى ابن معطي دالا بدقة على صوتي الميم، والنون اللذيْن تتم فيهما صفة الغنة، الذي هو

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:18.
2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:14.

عبارة عن صوت يخرج من الأنف يصاحب هذين الصوتين أثناء حدوثهما.

وابن معطي في قوله بهذا الصطلاح لم يكن مجددا، وإنما أورده بالمدلول نفسه, مثلما استعمله غيره من قبل، فهذا سيبويه يقول:« ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون، وكذلك الميم»"[1]. ومفاد هذا القول,أنّ سيبويه استعمل لفظ" الغنة" كمصطلح صوتي فيزيائي, دلّ به على صوتي النون والميم لاختصاصهما بالغنة أثناء حدوثهما. وقَبِل من جاء بعده بهذا المصطلح وعمِل به، كالمبرد وابن جني"[2].

وفي ضوء ما تقدم، نجد ابن معطي قد أكد ما ذهب إليه سابقوه من قبل في تخصيص مصطلح" أغنان" لصوتي الميم والنون، كما يتضح من استخدامه لهذا اللفظ أنه يستعمله في مدلوله الدقيق للدلالة على ما يقصده منها لاستقرار هذا المصطلح ووضوحه للدلالة على مفهومه.

ثُم إنّ توظيف صاحب الألفية لمصطلح" أغنان" بصيغة المثنى سليم يدل على معنى المصطلح وصَوْتَيْه دلالة مؤكدة، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة. فابن معطي إذن عمِل على تقريب المفهوم باللفظ السهل، الموجز، الموحي، والمركز الدلالة كما هو الحال في هذا المقام، وهذا يدل على تذوّقه العالي للألفاظ، وحرصه على الدقة والإيجاز. وقد تداوله العلماء فيما بعد"[3].

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص574، ت: إميل بديع يعقوب.

2 - المبرد، المقتضب، ج1-2، ص224/ وابن جني،سر صناعة الإعراب، ج1، ص48.

3 - ابن الجزري، النشر، ج1، ص204، ت: علي محمد النجار.

ولم يختلف المحدثون في تفسيرهم لهذه الصفة عما جاء به ابن معطي من قبل، والجديد عندهم هو اصطلاحهم على هذين الصوتين لفظ" الحروف الأنفية"؛ بحيث تتكوّن هذه الأصوات« بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين من النفاذ عن طريق الأنف»"[1]. وهذا التعريف لا يختلف في مدلوله عما ذكره ابن معطي من قبل؛ فخروج الهواء من الأنف هو الضابط الذي يُعرف به الصوت الأغن أو الأنفي.

وعليه، فقد جاء لفظ" الأنفية" عند المحدثين مرادفا لما اصطلح عليه القدماء بما فيهم ابن معطي" الأغنان"، وهم لم يضيفوا جديدا في المجال الصوتي على ما جاء به صاحب الألفية إلا أوصافا توضيحية لما تصوّروه في هذه الصفة.

الاستطالة:

الاستطالة لغة؛ الامتداد والارتفاع، وورد ذكرها عند ابن معطي في حديث صفات الحروف، ودلّل عليها مستخدما لفظ" الطويل""[2]. وقد أبان الشارح ما يقصده صاحب الألفية من توظيف لفظ" الطويل"، وذلك في قوله: «الاستطالة والمستطيل هو الضاد لأنه يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام وعبّر عنه بقوله طويل»"[3]. ويحدد هذا الحديث توظيف ابن معطي لمصطلح" الطويل"، ويوضح البعد الدلالي الاصطلاحي له؛ فالطويل في استخدام صاحب الألفية هو صفة للصامت الذي يمتد ويستطيل صوته عند النطق به من مخرجه إلى مخرج اللام، واختصت الضاد بهذه الصفة لتميزها بالامتداد والطول أثناء النطق بها. كما أننا نجد أنّ مصطلح" الطويل" قد استمد دلالته الاصطلاحية من دلالته

---

1 -كمال محمد بشر، علم اللغة-قسم الأصوات، ص132.

2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:18.

3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:17.

اللغوية، لأن الاسطالة لغة هي الامتداد والارتفاع، ومنه الطويل وهو صوت الضاد.

واستُعمِل هذا المصطلح قبل ابن معطي عند سيبويه، فقد وصف هذا الأخير به صوتي الشين والضاد، حيث قال:« وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين، لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها... والإدغام في الضاد أقوى لأنها قد خالطت باستطالتها الثَّنِيَّة»"[1]. وبالنظر إلى قول سيبويه،يظهر أنّ صفة الاستطالة كانت تعني امتداد الصوت بالحرف من مخرجه إلى مخرج حرف غيره، ولم تكن محددة بصوت معين، ولم يحدد سيبويه معنى الاستطالة.

وجاء بعد سيبويه باحثون، ولم يعيروا لهذه الصفة اهتماما كبيرا، واكتفوا بترديدها، ذكرها المبرد دون توضيح معنى هذا المصطلح"[2]، ولم يذكرها ابن جني في 'سر صناعة الإعراب'، ولا الزمخشري في 'المفصل' ممّا يدلّل على أنّ صفة الاستطالة لم تكن صفة محددة لديهم، ولعلّ إغفال العلماء لها يعود إلى عدم شيوعها صفة متعارفا عليها.

والخلاصة،أنّ صفة الاستطالة لم تستقر مصطلحا محددا إلا في وقت متأخر، فقد كانت تستعمل في القرون الأولى بمعناها اللغوي، وهو ما نجده عند سيبويه،والمبرد، وبهذا نستنتج أنّ ابن معطي قد أفاد من كل ما جاء به غيره، وما انفرد به دونهم هو أنّه درس مصطلح" الطويل" في حديث الصفات، بحيث استعمله صفة مخصوصة لصوت الضاد فقط.

وهذا، يدلّ على أنّ ابن معطي لم يكن مجرد ناقل أو جامع لآراء غيره، بل كانت له مقدرة فائقة في الترجيح، كما تظهر آراؤه على حظ

---

1 - (باختصار)، سيبويه، الكتاب، ج4،ص599،ت: إميل بديع يعقوب.

2 - المبرد، المقتضب، ج1-2، ص237،ت: حسن حمد.

كبير من السداد والقبول، شأن العالم المعتمد عليه، المتأكّد من صحة قوله، وتصويب رأيه وعمق إدراكه، وتمكّنه من الفهم. وقد تناقله(الطويل أو المستطيل) العلماء فيما بعد واستعملوه في أبحاثهم، ومنهم: ابن الجزري"[1]"، هذا عند القدماء.

وأما المحدثون فقد استعملوا هذا المصطلح بعد أن استقرّ عند سابقيهم، ولذلك نجد في كتبهم صفة مخصوصة بصوت الضاد فقط، ومن هؤلاء نذكر: امحمد بن يوسف اطفيش، وصبحي الصالح"[2]"، والاستطالة عندهم هي« امتداد الصوت بالضاد من أول حافة اللسان إلى آخرها»"[3]". وبذلك يكون مفهوم الاستطالة عند المحدثين، هو نفسه الذي أقرّه ابن معطي من قبل دون إضافة تذكر.

الصفير:

الصفير صفة صوتية أورده ابن معطي في مبحث الصفات، وعبّر عنه مستخدما لفظ"صُفّرُ""[4]". وحدّده ابن جمعة قائلا:« الصفير الحروف الصفيرية ثلاثة: الصاد والسين والزاي لأنها لما انحصر الصوت في مخرجها حدث من ذلك الصفير وهو ظاهر عند النطق، مأخوذ من صفير الفرس. وأشار إلى هذا الوصف بقوله:صُفّرُ»"[5]". وإنّ الممحِّص لكلام الشارح تستوقفه بعض الملاحظات الهامة، وهي:

1- ففي قوله(لما انحصر الصوت في مخرجها حدث من ذلك الصفير) ، إنه يشير هنا إلى الآلية النطقية لأصوات الصفير، وتتمثّل في انحصار أو انحباس الصوت مع أصوات(السين والصاد والزاي) في موضع حدوثها، وهو أسلة اللسان(ابن معطي)، أو ما بين طرف اللسان

---

1 - ابن الجزري، النشر، ج1، ص205، ت: علي محمد النجار.

2 -امحمد بن يوسف اطفيش، الكافي في التصريف، ص165/ وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص283.

3 - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص283.

4 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95،س:18.

5 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1373،س:18.

وأطراف الثنايا(**ابن جمعة**)، وهي إشارة دقيقة إلى التضييق الشديد(مجرى الهواء) أثناء النطق بهذه الأصوات، ومنه يحدث الصفير.
2- وأما قوله(وهو ظاهر عند النطق بها) إشارة إلى أنّ هذا الصفير يُسمَع عند النطق بهذه الأصوات.

وإنّ الذي يمكن أن يستنتج من هذا، أنّ الصفير هو صوت يسمع **أثناء النطق بأصوات**(الصاد والسين والزاي) **لانحصار الصوت في** مواضع حدوثها بحيث يضيق مجرى الهواء جدا عند مخرجها, فيحدث عندئذ صوت حاد مسموع يشبه صوت الطائر، ومن ثَمّ جاءت التسمية.

وعليه, فقد بيّن الشارح مجال توظيف ابن معطي لهذا اللفظ، كما حدد الإطار الدلالي الاصطلاحي له، **وقد استعمل ابن معطي لفظ" صُفّرُ"** للتعبير عن **أصوات**(الصاد والسين والزاي) التي تتمّ فيها **صفة** الصفير. ويتضح من استخدام صاحب الألفية للفظ" **صفّرُ**"، أنه يستعمله في مدلوله الدقيق للدلالة على ما يقصده منها لاستقرار هذا المصطلح ووضوحه للدلالة على مفهومه.

وهو اصطلاح جاء به من سبقه من العلماء, وفي هذا يقول سيبويه يقول: «وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في **السمع**»"[1]. وقد استخدم سيبويه هذه الصفة خاصا بها أصوات(**الصاد** والسين والزاي) لأنهن أرفع وأعلى في السمع، أي أكثرهن وضوحا في **السمع**.
ويتضح مما سبق، أنّ الصفير هو مصطلح صوتي فيزيائي وسِمت به **الأصوات** الثلاثة المتقدم ذكرها، **وقد استقر رأي ابن معطي** على هذا الاصطلاح وذلك لوضوح دلالته، ولاسيّما أنه ينسجم مع **المعنى اللغوي للفظة**.

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص597، ت: إميل بديع يعقوب.

الفصل الثالث

التلوينات الصوتية

تمهيد

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند تجاورها في كلمة واحدة أو في كلمتين، على أنّ نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، والأصوات في تأثرها تهدف إلى تحقيق الانسجام والتناسب الصوتي في السياق النطقي.

والعلم الذي يدرس هذه العلاقة التأثيرية بين الأصوات، هو "علم الفونولوجيا" أو "علم وظائف الأصوات"، ولقد أدرك قدامى علماء العربية هذه الظاهرة وأولوها بالدراسة والفحص، فتناولوا كثيرا من موضوعاته(علم الفونولوجيا) في كتب النحو والصرف وكتب التجويد.

وقد تعرّض ابن معطي إلى هذه الظاهرة في متن ألفيته من خلال معالجته لبعض هذه الموضوعات المتعلقة بها: كالإدغام، والإبدال، والقلب، والإمالة، وتخفيف الهمزة، وفيما يأتي حديث عن هذه الموضوعات بشيء من التفصيل.

الإدغام:

الإدغام ظاهرة لغوية صوتية، تحدث نتيجة تأثر الأصوات المتجاورة ببعضها، والهدف منه تحقيق أقصى درجة التماثل والتجانس بين أصوات اللغة. والإدغام لغة؛ إدخال شيء في شيء، قال ابن منظور:« والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب. وأدغم الفرس اللجام: أدخله في فيه»"[1]. كان هذا دلالة مصطلح" الإدغام" لغة.

وأما مفهومه عند اللغويين العرب؛ فهو« عبارة أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير فاصل بينهما بحركة ولا وقف،

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص394، مادة(دغم- دفأ)، ع:1، س:18.

فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان بهما دفعة شديدة، والغرض منه التخفيف والتسهيل»"[1]. وقداشترط ابن جمعة لوقوع الإدغام من وصل الساكن بالمتحرك ليُؤدّى بالثاني من غير فصل بينهما، بحيث لا يُسمَع للأول(المدغَم) أثر بل يكاد السامع يستصيغ حرفا واحدا جاء مشدّدا، ومعنى هذا،أنّ الحرفين يُلفَظ بهما دُفعة واحدة.

والغرض منه التخفيف والتسهيل؛ ذلك أنّ الصوتين المتماثلين أو المتقاربين إذا تجاورا في الصيغة الإفرادية أو التركيبية فإنّ أداءهما عند النطق بهما مستثقل على اللسان، بحيث ينجرّ عنه تضعيف للجهد العضلي الذي يقوم به اللسان، وبفناء أحد الصوتين المتماثلين أو المتقاربين في الآخر تزول تلك الوقفة التي كانت في الأولى بفضل النطق بهما معا.

ومن هنا،فإنّ الإدغام في اصطلاح ابن معطي على ضوء تفسير ابن جمعة، هو اللفظ بالحرفين حرفا واحدا قصد التخفيف. كما نجد مصطلح" الإدغام" قد استمدت دلالته الاصطلاحية من دلالته اللغوية، لأنّ الإدغام هو الإدخال، والإيصال، واللّفظ بالحرفين حرفا واحدا مشدّدا.

وقد تحدث ابن معطي عن الإدغام، وعقد له بابا خاصا في آخر ألفيته، وكان ذلك عبارة عن إشارات موجزة، ولكنها دقيقة تدل على معرفة دقيقة بموضوع الإدغام، وأوجهه المختلفة ومصطلحاته، والملفت للانتباه هنا،أنّ صاحب الألفية اكتفى بالقول بمصطلح" الإدغام" ولم يقدم تعريفا أو تحديدا لأطرها الدلالية الاصطلاحية، بل تحدث مباشرة عن أقسام الإدغام من حيث نوع الحرفين المدغمين.

ولعلّ الذي دفعه إلى هذا الصنيع، شعوره بوضوحها وعدم التباسها، لأنها كانت قريبة جدا من معناها اللغوي، أضف إلى ذلكأنّ

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1363، س:08.

هذا المصطلح بدا في عصره، متبلورا، مكتفيا بذاته، لا يحتاج إلى تعليق، أو، وصف إضافي، يقول ابن معطي: «القول في الإدغامِ باختصارِ»"[1]. واضح من كلام صاحب الألفية،أنّ لفظ "الإدغام" في هذا الموضع يستخدمه ليدلّ به على العملية في حدِّ ذاتها.

وبعد ذكر المصطلح بيّن أقسام الإدغام من حيث نوعية الحرفين المدغمين، بالتماثل أو بالتقارب، وضرب أمثلة لكل نوع، من ذلك قوله:
«أما إدغامُ الحرفِ في مثيلِهِ كالدالِ في الدالِ فمِنْ تمثيلِهِ
شَدَّ يَشُدُّ شَدَّ يَد دَّاوُدَا مُحَرَّكًا أو سَاكنًا موجوداَ»"[2]. ونلاحظ هنا، أنّ ابن معطي استعمل لفظ" إدّغام" للدلالة على هذه الظاهرة الصوتية التي تقوم أساسا على تماثل صوتين في المخرج والصفة، ويتضح ذلك من خلال استخدامه لكلمة" مثيله"، التي دلّت على نوع من أنواع الإدغام، وهو إدغام المتماثلين. ومن أمثلة هذا الضرب من الإدغام ما نلاحظ في الأمثلة الآتية التي ساقها لوصف هذا النوع.

فأما (شدَّ يشدُّ شدَّ) فمثال إدغام الدال في أختها في الاتصال حال كونهما محركين، ويفسر ابن جمعة ظاهرة إدغام الدال في الدال إذا كانا متحركينفي مثل (شدَّ- يشدّ)، بقوله:«وأصل شدَّ شدَدَ فحذف حركة الدال وأدغمها في الثانية. وأصل يشدّ: يشدُدُ فنقل حركة الدال إلى الشين»"[3]. ونستنتج من قول الشارح،أنّ الدال الأولى أدغمت في أختها في(شَدَدَ)، بعد حذف حركة الدال الأولى؛ أي أنه لابد من تحقق الإدغام من تسكين الأول وإدخاله في الثاني المتحرك لأنّ الحركة تمنع الإدغام، ولذلك احتيج في هذا المثال إلى إزالة حركة الدال الأولى للتمكن من الإدغام. والأمر سيان في كلمة(يشدّ) الذي أصله(يَشْدُدُ)، بحيث نقلت حركة الدال الأولى إلى الصوت الذي قبلها وهو الشين، ليسهل اندماج الدال الأولى في الثانية.

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:1. وتمام البيت« القولُ في الإدغامِ باختصار* * *وبَعدَه ضرائرُ الأشعارِ»

2 ابن معطي، متن ألفية ابن معطي ، ص95، س:3.

3 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1364، س:18.

هذا، وقد مثّل ابن معطي لإدغام المتماثلين في الانفصال بإدغام الدال في الدال نحو:(يَد دَّاود). نلاحظ في هذا المثال تجاور دالين متحركين من كلمتين، وإذا نظرنا إلى حركتهما وجدنا الدال الأول في(يد) قصيرة، وهي الضمة، وحركة الدال الثاني في(داود) طويلة، وتتمثل في الألف، وبذلك فصلت الضمة الدال الأول عن الدال الثاني. وللتمكن من اللإدغام لابد من إزالة حركة الدال الأول بحيث لا يكون هناك فصل بينهما(الصوتين المتماثلين)، وأسكن الدال الأول وأدخل في الثاني فحصل الإدغام.

ونستنتج مما سبق، أنّ الحركة تمنع الإدغام، ولابد من تحقق الإدغام أن يكون الأول ساكنا، والثاني متحركا، وإذا وُجدت فيجب إزالتها بالحذف في مثل(شدَّ)، و(يد دَّاود)، أو بنقل حركتها إلى الحرف الذي قبلها، وتسكينها نحو (يشدُّ).

فابن معطي إذن يرجع هذا الإدغام إلى التخفيف؛ لأنّ التقاء المتماثلين في الصيغة الإفرادية أو التركيبية مستثقل على اللسان لا سيّما إذا كانا متحركين، ولا يزيله إلا فناء أحد الصوتين المتماثلين في الآخر لتحصل الخفّة عند النطق كما هو الحال في الأمثلة السابقة.وهذا ما أكده العلماء من بعده"[1]".

هذا حديث ابن معطي عن إدغام الحرفين المتماثلين في الاتصال، والانفصال، بحيث ألفيناه يعبر عن الشرح الطويل بألفاظ سهلة، موحية، ومركزة الدلالة، وهذا يدل على تذوقه الرفيع للألفاظ، وقد شفّع كلامه بأمثلة توضيحية أسهمت في الكشف عن مقصده من توظيفه لمثل هذه الألفاظ أو المصطلحات.

1 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص513/ وابن عصفور، الممتع في التصريف، ج2، ص631.

ثم انتقل بعدئذ إلى الحديث عن إدغام الحروف المتقاربة، وضرب لهذا النوع أمثلة، كإدغام الدال في الذال، حيث قال:
«أمّا إدِّغامُ المتقاربينِ كالدال في الذال ملاصقين
كادَّرَى وقدْ ذَرَى فقِسْ تُصِبْ فالقولُ في ذِكرِ المخاج يجبْ»"[1]". وقد أشار ابن معطي في حديثه عن إدغام المتقاربين إلى عملية أخرى قد تُفهم من سياق الكلام، حيث قال:« كالدال في الذال ملاصقين»"[2]"، فقد أفاد لفظ(ملاصقين) التلاصق التام بين الحرفين المراد إدغامهما بحيث لا يُفصل بينهما بحركة أو وقف. وأمثلة هذا النوع من الإدغام، هي:(ادَّرَى)، و(قد دَّرَى)، اللتين أصلهما: (اذْترى)، و(قدْ ذَرى).

فأما(ادَّرى) فنلاحظ إدغام الذال في الدال المبدلة من تاء افتعل، لأن أصل الكلمة(اذْتَرى)، ولما كانت التاء مهموسة ضعيفة مجاورة لصوت مجهور قوي انجذبت التاء نحو الذال فانقلبت إلى الدال لتوافق الذال في الجهر، واتصلت مباشرة بالذال وأصبحت(اذْدَرى).

ومن ثمَّ، أصبحت الدال في الموقع الأقوى لتحركها، وضعف موقع الذال لسكونها، فتأثرت الذال وهي الصوت الأول بالدال فصارت دالا مثلها، أي أنّ الدال منحتها كل خصائصها. وحصل الإدغام، ونطقت اللفظة(ادَّرى) تحقيقا للانسجام بين الأصوات المتجاورة، وتوفير الجهد العضلي لدى الإنسان الناطق.

وأما(قد دَّرى)، فمثال إدغام المتقاربين من كلمتين، وصوتا الدال والذال صوتان متتاليان، وكل منهما مجهور، ولكن الدال صوت نطعي، والذال صوت لثوي.
فإذا نظرنا إلى حركتهما، وجدنا حركة الذال قصيرة، وهي الفتحة، والدال ساكنة، ولما كان الذال في الموقع الأقوى، تأثرت الدال بالذال، فصار ذالا مثلها، وحصل الإدغام الذي هو تقريب صوتي نتج عن

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص95، س:7.
2 -نفسه، ص95، س:8.

تجاور صامتين متقاربين صارا كالصوت الواحد بعد الإدغام، ونطقت العبارة(قد دَّرى).

وبهذا، ينتهي حديث ابن معطي عن مصطلح" الإدغام"، وسابقيه، ولاحقيه من قدماء، ومحدثين. وإذا كان الإدغام يختص أساسا بالمتماثلين،وقد يكون في المتقاربين، فإنّ الإبدال يختص بالمتقاربيْن، ولذلك قدّمت الإدغام وألحقته بالإبدال.

الإبدال:

الإبدال لغة؛ تغيير شيء بشيء آخر لغرض ما، جاء في اللسان:« وأبدل الشيء من الشيء وبدّله: اتخذه منه بدلا. وأبدلت الشيء بغيره وبدّله الله من الخوف أمنا. وتبديل الشيء: تغيير وإن لم تأت ببدل، واستبدلت الشيء بغيره وتبدّله به إذا أخذه مكانه. والمبادلة التبادل»"[1]". كان هذا دلالة مصطلح" الإبدال" لغة.

وأما مفهومه في اصطلاح اللغويين العرب؛ فهو إقامة حرف مقام حرف آخر لعلاقة بينهما في المخرج أو في الصفة، وفي ذلك يقول ابن جمعة:« إبدال الحرف هو عبارة عن إقامة الحرف مقام آخر في محلّه بعد حذفه طلبا للمناسبة مطلقا أو ضرورة»"[2]". وفي عبارته(إقامة الحرف مقام آخر في محله)، وضوح يُعِد اللُّبْسَ بين البدل، والعوض، لأنّ العوض هو جعل حرف مقام آخر في غير موضعه، أو بعبارة أدق، أنّ العوض لا يلتزم بمكان الحرف المعوَّ◌َ◌ّض من الكلمة، بينما الإبدال يراعي موضع الحرف المبدَل بحيث يحلّ المبدل منه محلّه؛ وذلك لعلاقة بينهما، وهذه العلاقة قد تكون في المخرج أو في الصفة.

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص176، مادة(بدع- بدل)، ع:2، س:12.
2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1340، س:2.

ومن هنا،نستنتج أنّ دلالة هذه الكلمة(الإبدال) قد تطورت، وذلك بخروجها من الإطار الدلالي اللغوي إلى الإطار الدلالي الاصطلاحي، وأصبح الإبدال في الدراسات اللغوية يخص ذلك التغير الصوتي الذي يصيب بنية الكلمة التي أحد حروفها حروف اللإبدال.

ومن هنا، نلمس العلاقة الدلالية اللغوية منها، والاصطلاحية، لأن البدل هو «أن تقيم حرفا مُقام حرف إما ضرورة، وإما استحسانا»"[1]"، وهو ممّا يختص في الحروف الصحيحة والمعتلة"[2]"، وتسمى حروف الإبدال.

والإبدال ضرب من ضروب الانسجام، والتناسب، والتقارب بين أصوات الكلمة المتبادلة، وقد أدرك ابن معطي وجوه هذه الظاهرة في اللهجات العربية، ودلّل عليها مستخدما لفظ" الإبدال"، وواصفا الظاهرة حينا آخر.

وقد تحدث عنه في باب خاص، وكل ذلك كان عبارة عن إشارات موجزة، ولكنها دقيقة تدل على معرفة عميقة بالموضوع، وأوجهه المختلفة، ومصطلحاته، من ذلك قوله:
«أحرفُ الإبدال يأتي التبيينُ يحصرها في أجَهدْتُمْ طَاوِين»"[3]".
ونلاحظ من استخدام ابن معطي لمصطلح" الإبدال" ملحقا بلفظ" أحرف" للدلالة على أنّ الإبدال مقيّد وقوعه بهذه الحروف، وهي: الهمزة، والجيم، والهاء، والدال، والتاء، والميم، والطاء، والألف، والواو، والياء، والنون.

وهو في هذا، يتفق مع سيبويه الذي بلغت عنده أصوات البدل أحد عشر صوتا"[4]"، وأما الزمخشري فحصرها في ثلاثة عشر صوتا يجمعها

1 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص347.
2 - عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص428.
3 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:1.
4 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص360، ت: إميل بديع يعقوب.

قولك:« استنجده يوم صأل زُط»"[1]". وهذا التفاوت الذي ظهر عند الدارسين في عدد أصوات البدل، نجم عن تفاوتهم في حصر الأمثلة المسموعة والمحفوظة في التراث العربي"[2]".

كما وظّف صاحب الألفية لفظ" الإبدال"، ومشتقاته للدلالة على المفهوم المستقر في عصره دون الالتجاء إلى تعابير وصفية إضافية، من ذلك قوله:
« وأبدلوا الهمزة في أرقت هاءً وإيّاك وفي أنرتُ »"[3]"، والمراد هنا، ما تبدل فيه الهمزة هاءً.
«وأبدِلاَ همزاً لأجلِ ألفٍ زائدةً قبلهما في الطرف
نحوَ كساء ورداء أما شقاوة عماية فحتماً»"[4]"، إشارة إلى إبدال الواو والياء همزة.
وقوله:«ويُبدِلون التاء دالا قالوا ازدانَ يزدانُ له مثال»5، والمراد هنا، ما تبدل فيه التاء دال في صيغة" افتعل".

ونلاحظ من النصوص السابقة، أنّ مادة" بدل"، ومشتقاته استعملها ابن معطيليدلّ بها على هذه الظاهرة الصرفية الصوتية التي تقوم أساسا على إحلال صوت مقام آخر في الصيغة الإفرادية لعلاقة بين المبدَل والمبدَل منه في المخرج، أو في الصفة. وفي الشواهد الآتية وقفة مع جوانب بعض الصيغ اللغوية التي تبدل فيها هذه الأصوات(حروف الإبدال)، كما هي مبثوثة في النصوص السابقة:

فأما(أرقت)، و(إيّاك)، و(أنرت) فأبدلت الهمزة من هذه الكلمات الثلاث هاء فصارت(هرقت)، و(هياك)، و(هنرت)، والعلة الصوتية هنا تجانس صوتيهما؛ إذ اتفقتا في المخرج، واختلفتا في الصفة.

---

1 - الزمخشري، المفصل، ص505، قدم له وبوّبه: علي بو ملحم.
2 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص
3 - ابن معطي، متن الفية ابن معطي، ص93، س:11.
4 ابن معطي، متن الفية ابن معطي ، ص94، س:9.
5 - نفسه، ص94، س:21.

وهذا ما ذهبت إليه الدراسات الصوتية المعاصرة، إذ ترى في هذا الإبدال تخفيفا للصوت، وتحقيقا للانسجام، يقول امحمد بن يوسف اطفيش:« الهاء: أبدلت من الهمزة نحو:" هرقت"، الأصل:" أرقت"- على ما مر-لأنّ الهمزة ثقيلة شديدة والهاء همسية خفيفة فخفف بها مع تقارب مخرجهما أيضا»"[1]"، وفي هذا النص يعلّل اطفيش لإبدال الهمزة هاء، وهو تقارب صوتيهما من بعضهما في المخرج.

وأما(كساء)، و(رداء) فأصلهما(كساوْ)، و(رداىْ)، في هذه الصيغة تبدل الواو والياء همزة، لوقوعهما في الطرف بعد ألف زائدة، ومن هنا، كان طبيعيا أن تقلب الواو في(كساوْ) والياء في (رداي) همزة حتى يتناسب صوتهما مع صوت ما قبلهما، ويحصل الانسجام المبتغى في السياق ويُقال: كساء، ورداء. وهذا يوضح وظيفة الإبدال التي تتمثل في طلب الانسجام الصوتي، والتساوي بين عناصر الصيغة الإفرادية، قبل أن تطلب التخفيف.

وفي ضوء ما تقدم، نستشفّ ما يشبه القانون العام لإبدال الواو، أو الياء الساكنتين بعد ألف زائدة وهو: إذا كانت الواو أو الياء طرفا بعد ألف زائدة، تبدل همزة للقرابة الصوتية بين الألف، والهمزة، وهذه قاعدة عامة للواو، أو الياء المتطرفة بعد ألف زائدة.

وأما(ازدان) فقد وقع تغيّر صوتي في هذه الصيغة، بحيث أبدلت التاء دالا؛ ذلك أنّ (ازدان) أصله:(ازتان)، ويعلّل شارح الألفية لظاهرة إبدال التاء دالا بقوله: «وإنما أبدل من التاء دالا بعد هذه الأحرف كراهة الخروج من قوة الجهر الذي فيه إلى ضعف الهمس الذي في التاء. فأبدلت إلى الدال لتوافق ما قبلها من الحروف في الجهر والمخرج»"[2]".

---

1 -محمد بن يوسف اطفيش، الكافي في التصريف، ص228، ت: عائشة يطو، جامعة وهران- السانية، 2001_2002،(رسالة ماجستير).

2 - علي موسى الشوملي، شرح الفية ابن معطي، ج2، ص1357، س:18.

ومعنى هذا، أنّ وضع التاء ضعيف في الصيغة مقابل قوة الزاي في صفة الجهر، ومن هنا، كان طبيعيا أن تتحوّل التاء إلى صوت يوافق الزاي في الجهر، ويتفق معها في المخرج، وهو الدال تحقيقا للانسجام المبتغى في السياق، ونطقت اللفظة(ازدان) بالدال. وهذا الحكم ينطبق على ما كان من صيغة" افتعل" فاؤه أحد الحروف الثلاثة، وهي:(الزاي، والذال، والدال).

وإنّ وضوح مفهوم مصطلح" الإبدال"،ودقّته يدلّ على أنّ المفهوم المسمى قد استرعى انتباه النحاة من قبل"[1]"، وحظي بدراسة معمقة، بقدر ما بدا المصطلح متبلورا، مكتفيا بذاته لا يحتاج إلى توضيح، أو تعليق إضافي، ولذلك اكتفى ابن معطي بذكر المصطلح دون أن يقدم تعريفا، أو تحديدا لأطرها الدلالية الاصطلاحية.

ونستنتج مما سبق،أنّ ابن معطي قد استعمل مصطلح "الإبدال" لمعالجة ظاهرة صرفية صوتية، يشترك فيها الاسم في مثل:(كساء)، والفعل نحو: (ازدان)، والحرف مثل:(إيّاك) على حدّ السّواء. واشترط أن تكون حروفه مخصوصة يجمعها قول" أجهدتم طاوين"، والتغيير الذي يحدث فيها هو الإبدال.

والغرض منه كما توضّح من خلال الأمثلة التي ساقها لوصف هذه الظاهرة، هو تحقيق لون من الانسجام والتناسب والتقارب بين أصوات الكلمة المتبادلة. كان هذا حديث مصطلح" الإبدال" عند ابن معطي، وسابقيه، ولاحقيه من قدماء، ومحدثين. ويبقى مصطلح صوتي ذكره ابن معطي، وهو" القلب"، وللقلب علاقة بالإبدال، إذ كلّ منهما يهدف إلى التقريب الصوتي وإقامة الانسجام في السياق. ويشمل الإبدال أصوات المد الثلاثة وبعض الأصوات الصحيحة، بينما يختص القلب بأصوات المد الثلاثة فقط، ولذلك قدمت الإبدال وألحقته بالقلب.

---

1 -سيبويه، الكتاب، ج4 ، ص360 / والمبرد، المقتضب، ج1-2، ص101/ وابن جني، الخصائص، ج1، ص496.

القلب:

الأصل في القلب لغة؛ تغيير الشيء عن وجهه الأصلي، قال ابن منظور «القلب: تحويل الشيء عن وجهه، قَلَبَه يقْلِبُهُ قَلْباً»"[1]"، هذا مدلول الكلمة في اللغة. ومنه جاء مفهوم مصطلح" القلب" عند اللغويين العرب، فهو عبارة عن إحلال صوت مكان آخر في الصيغة الإفرادية. وهو ظاهرة صرفية صوتية تشيع في بنية الكلمة العربية، يلجأ إليها العربي من أجل تقريب صوت من صوت اقتصادا في الجهد العضلي، وتناسبا في السياق النطقي.

وقبل أن نتعرّض إلى مصطلح" القلب" في متن ألفية ابن معطي، نحاول الوقوف عند المفارقة الاصطلاحية بين القلب والإبدال، وفي ذلك يقول ابن جمعة:« والفرق بين القلب والبدل:أنّ القلب لا يكون إلا في حرف اللين، والبدل يكون فيها وفي غيرها. فهو أعمّ من القلب»2، ومعنى هذا،أنّ كل "قلب" " إبدال"، وليس كل "إبدال" " قلبا"؛ لأن الإبدال أعمّ من القلب بعدد حروفه.

ولقد أدرك ابن معطي وجوه هذه الظاهرة في اللهجات العربية، ودلّل عليها مستخدما لفظ" القلب"، وإن كانت إشارات إلا أنّها دقيقة تدل على معرفة دقيقة بموضوع القلب وبمصطلحاته، وأوجهه المختلفة، وسنتناول فيما يأتي بالدراسة بعض الشواهد التي استدلّ بها صاحب الألفية لوصف هذه الظاهرة، من ذلك قوله:

« والواو والياء إذاتحرَّكا منْ بعدِ فتحٍ لازمٍ فلْيُشْرَكا
في الانقِلابِ ألفاً نحْوَ رَمَى ومثلُ مَرْمَى ودَعَا وكالعَمَى»"[3]"،
والمراد هنا ما تقلب فيه الواو والياء ألفا.

---

1 -ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص305، مادة (قفز- قلب)، ع:2، س:19.
2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1340، س:5.
3 -ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:17.

وقوله:«الواو إنْ يَسْكُنْ وقبلَه انْكَسَرْ فاقْلِبْهُ ياءً نحو ميزانِ اشتَهر»"1"، إشارة إلى قلب الواو ياء.

ويتضح مما سبق، أنّ مصطلح" القلب" ومشتقاته استعمله ابن معطي بمعنى الإبدال، وليس بمعنى القلب المكاني الذي هو تغيير في ترتيب الحروف الأصلية للكلمة بتقديم بعض أحرفها عن البعض الآخر، نحوجَبَذَ وجَذَبَ . وهو ما سنوضحه من خلال تحليلنا لبعض الأمثلة التي استشهد بها صاحب الألفية في هذا الموضع:

إنّ المتتبِّع لكلام ابن معطي يدرك أنّه يعرف بدقة معنى كل لفظة ترد في عباراته؛ ففي قوله:

«الواوُ والياءُ إذا تحرّكا مِنْ بَعْدِ فتحٍ لازمٍ فلْيُشْرَكَا

في الانْقِلاَبِ ألِفاً نحو رمَى ومِثْلُ مرمَى ودَعَا وكالعَمَى»"2". إنّه يتحدث هنا عن قلب الواو والياء ألفا في الأسماء، والأفعال، إذا كانا متحركين بعد فتح لازم، أو أصلي، في مثل:(رمَى)، و(مَرْمَى)، و(دَعَا)، و(العَمَى)، التي أصلها: ومَرْمَيَ، ودَعَوَ، والعَمَوَ .

ففي هذه الصور الأربعة، تقلب الياء، أو الواو ألفا، لانفتاحهما وانفتاح ما قبلهما فتحا أصليا، ولما كان صوت اللين مفتوحا، وما قبله مفتوحا فاجتمع عدد من الحركات المتماثلة مما جعل اللفظة أعسر نطقا.وقد اقتضت هذه الحالة، أن يقلب الواو، أو الياء إلى الصائت الطويل المناسب لصوت ما قبله، وبذلك تساوى الصوتان في الصيغة الإفرادية، وتحقق الانسجام في السياق النطقي كما هو الحال في هذه الأمثلة.

ويفسر ابن جمعة ظاهرة قلب الواو، والياء ألفا بقوله:«فاعلم أنّ الواو والياء إذا كان في الاسم أو الفعل، وتحرّكا حركة لازمة وقبلهما فتحة- لا مانع مطلقا- قلبا ألفا، إما استثقالا للحركة مطلقا عليهما للزومها، وإما كراهة ثقل اجتماع الأمثال، لأن كل واحد منها يقدّر

1 - نفسه، ص93، س:23.

2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:17.

بحركتين، فإذا انضمّ إلى حركته وحركة ما قبله، التقدير أربع حركات متوالية في كلمة واحدة وذلك مستثقل»"[1]، هذا تعليل شارح الألفية.

إنّ السبب الصوتي الذي جعل الواو والياء ألفا، هي الفتحة التي قبلهما إذ أنّ الفتحة جزء من الألف وبتجاورهما ينسجم النطق، واجتماع عدد من الحركات المتماثلة جعل اللفظة أعسر نطقا، وهروبا من هذا التتابع أبدلوا الواو والياء ألفا، اقتصادا في الجهد العضلي، وتناسبا في السياق النطقي، على حد قول الشارح.

وأما(ميزان) الذي أصلهمِوْزَان، فإنّ الواو في هذه الصيغة تقلب ياء، لسكونها وانكسار ما قبلها. ووضّح شارح الألفية سبب القلب في هذه الصورة بقوله:« وإنما قلبت ياء إما لأنها سكّنت وانكسر ما قبلها جذبتها الكسرة إلىجنسها تغليبا له، وإما لأنّ النطق بالواو بعد الكسرة ثقيل جدا فقلبت إلى الياء المجانسة لها لكون النطق بها أخف»"[2]. ويستفاد من هذا النصأنّ الواو إذا سُكِّنت وتحرَّك ما قبلها بالكسر تنافر الصوتان، وأثر القويّ في الضعيف في السياق النطقي، فيميل الضعيف نحو القوي تحقيقا للانسجام الصوتي وتخفيفا من الجهد العضلي على اللسان.

ولما كان الصوت القوي يؤثِّر فيما بعده حصل القلب هنا، لقوة المتقدم (الميم المكسورة) على المتأخِّر(الواو الساكنة)؛ والكسر أقوى من السكون، فكان: ميزان. وبذلك تساوى الصوتان في عناصر الصيغة الإفرادية. فابن معطي إذن على ضوء تفسير ابن جمعة، يرجع هذا القلب إلى التخفيف الصوتي.

ونضيف إلى أنّ الواو صوت انزلاقي، ومثله الياء، ومؤدّى هذا أنّ نطق كل صوت منهما سيكون صائت قصير من جنسهما أي ضمة

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1346، س:5.
2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1348، س:10.

قبل الواو، وكسرة قبل الياء. ثم ينزلق الصوت من الضمة إلى الواو، ومن الكسرة إلى الياء.وفي مِوْزان جاءت الكسرة قبل الواو، فانزلق الصوت من الكسرة إلى ما يجانسها، وهو الياء فانقلبت الواو ياء نتيجة الانزلاق الصوتي.

وهذا ما ذهبت إليه الدراسات الصوتية المعاصرة؛ إذ ترى في هذا القلب الهروب من الجهد العضلي والاستغناء عنه، وفي ذلك يقول أبو حفص الزموري:« أن تلي الواو كسرة وهي ساكنة مفردة نحو ميزان وميقات، الأصل وْزَان ومِوْقَات، فقلبوا الواو ياء استثقالا للخروج من كسرة إلى الواو كالخروج من كسرة إلى ضمة»"[1]"، كان هذا تفسير المحدثين لهذه الظاهرة.

ويتضح مما سبق، أنّ مصطلح" القلب" عند ابن معطي أُستُعمِل بمعنى الإبدال بين أصوات المد(ا- و- ي)، وليس بمعنى القلب المكاني الذي هو تغيير في ترتيب الحروف الأصلية للكلمة بتقديم بعض أحرفها عن البعض الآخر.

وقد لوحِظ تداخل بين مصطلحي" الإبدال"، و" القلب" في أحايين كثيرة، بحيث ورد استعمال اللفظين معا في باب" أحرف الإبدال""[2]"، وحاولت الفصل بينهما، وحصر كل عنصر في موضعه.

ويتضح من استخدام صاحب الألفية للفظ" القلب"، ومشتقاته، أنّه يستعملها في مدلولها الدقيق للدلالة على ما يقصده منها؛ ذلك أنّه لم يرِد على حد علمنا لفظ" القلب"، ومشتقاته عند ابن معطي إلا فيما يتعلّق بالإبدال الذي يحصل بين أصوات المد الثلاثة.وهذا يدلّ على تذوّقه الرفيع للألفاظ، بحيث حرِص حلى اختيار اللفظ الدقيق، والمركّز

1 - عمر بن آبي حفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ص326، مط: ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط:1، 1411هـ- 1991م.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:1.

الدلالة. وبهذا ينتهي حديث مصطلح "القلب" عند ابن معطي. ليتابع الكلام في مصطلح" الإمالة".

الإمالة:

الإمالة لغة؛ الانحراف عن القصد، وجاء في اللسان:« الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه وكذلك الميلان. ومال الشيء يميل مَيْلاً ومُمَالاً ومُمِيلاًوتَمْيَالاً»"[1]"، كان هذا دلالة لفظ "الإمالة" لغة.

أما في اصطلاح اللغويين العرب القدماء؛ فهي كما حدّدها شارح الألفية قائلا:« والإمالة في الأصل: العدول بالشيء عن جهته. وفي الاصطلاح: أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء»"[2]". ومعنى هذا،أنّ الإمالة هي العدول بالفتحة قصيرة كانت، أو طويلة تجاه الكسرة قصيرة، أو طويلة.

ومن هنا، نستنتج مدى التطابق المعنوي اللغوي، والاصطلاحي، لأن الإمالة من الميل، وهو العدول إلى الشيء، والإقبال عليه، ومنه إمالة الفتحة نحو الكسرة؛ ذلك أنّ إمالة الفتحة نحو الكسرة ما هو إلا عدول بها عن استوائها إلى الياء فيصير مخرجها حينئذ بين مخرج الفتحة، ومخرج الكسرة.

وقد أدرك ابن معطي وجوه هذه الظاهرة الصوتية (الإمالة) في اللهجات العربية، ودلّل عليها مستخدما لفظ" الإمالة"، وواصفا للظاهرة حينا آخر، إذ عقد لها بابا خاصا في ألفيته، والجدير بالذكر هنا،أنّ صاحب الألفية في أثناء معالجته لهذه الظاهرة، اكتفى بذكر المصطلح دون أن يقدم تعريفا اصطلاحيا يوضّح من خلاله معنى هذا المصطلح، بل أخذ مباشرة بعد ذكره للمصطلح في استعراض مواضع الإمالة في

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص116، مادة(ميش- ميل)، ع:3، س:15.
2 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1279، س:7.

الكلام. وللتدليل على ذلك نستعرض عيِّنة موجزة عن مواطن هذا المصطلح في عبارات صاحب الألفية، من ذلك قوله:

«القولُ في الهِجَاءِ والإمالة اعلمْ بِأنَّ الألِفَ المُمَـالة
هي التي قدْ قُلِبَتْ عن ياءٍ أو جَلورتْ لِكسرةٍ أو راءٍ
مكسورةٍ نحو رَمى ومرمى وبـاعَ واشترى ونحو أعْمَـى
وهكذا إنْ قُلِبَتْ عن واوٍ مكسرةٍ كخَافَ خوفَ الغَـاوِي
والراءُ نحو كافِرٍ والنَارِ والكسْرُ نحو لِعِبَادِ البَـارِي»"1"، وهي أسباب الإمالة.

ويتضح من استخدام صاحب الألفية للفظ" الأمالة"، أنه يستعملها في مدلولها الدقيق للدلالة على ظاهرة العدول بالألف عن استوائها تجاه الياء، ولا تكون إلا لعلة تدعو إليه. فقد أفادت عبارة(اعلم بأنّ الألف الممالة)أنّ الممال هو الألف وأنّ هذه الإمالة التي تقع في الألف، إنما تكون لأسباب دعت إليها.

والمتتبّع لكلام ابن معطي يدرك أنه يعرف بدقة معنى كل لفظة ترد في عباراته؛ ففي قوله(هي التي قد قُلِبت عن ياء)، والتعبير بـ(قد) هنا تعبير دقيق تفيد التحقيق بعد الفعل المضارع، وكأنّ ابن معطي أراد أن يشير بذلك إلى أنّ من أسباب الإمالة كون الألف منقلبة عن ياء، بحيث دلّ الضمير في الفعل(قلبت) بصيغة التأنيث على الألف الممالة الذي صرّح به في بداية النص.

ومن أمثلة هذا الضرب من الإمالة ما نلاحظ في الأمثلة الآتية:

رمَى، ومرمى- الذي أصلهما:رمَيَ،ومَرْمَيَ .

باع- بيَع- بِعت- بِيعَ.

اشترى وأعمَى-اشتريْتُ وأعمي.

ويوضح ابن جمعة فكرة ابن معطي بتفصيل في النص الآتي:« فقوله: هي التي قد قلبت عن ياء. إشارة إلى السبب الأول وهو كون الألف منقلبة عن ياء.

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص86-87، س:22.

وقوله نحو: رمى ومرمى مثال لكونها ثالثة لاما مطلقا. وقوله: باع مثال لكونها عينا في الفعل. وقوله: اشترى وأعمى مثال لكونها لاما في الفعل الزائد على الثلاثة والاسم»"[1]. ويكشف هذا النص عن مدى الدقة التي حرص عليها ابن معطي في ألفيته، فقد أشار إشارة دقيقة، وموجزة إلى إمالة الألف المتوسطة، والمتطرفة من خلال طائفة من الأمثلة، بحيث دلّ كل مثال على حالة بعينها دون أن يلجأ إلى تعابير وصفية، من ذلك قوله:

(رمَى)، و(مرمى) نلاحظ أنّ وضعية الألف واحدة في هاتين الصورتين، وهي وقوعها متطرِّفة، أو لاما للكلمة في الفعل((رمَى)، وفي الاسم(مرْمَى) وتمال الألف هنا لتطرُّفها جاءت في موضع الياء، ولما كانت الألف في موضع الياء أمالوها تنبيها على الأصل، فقالوا: رمَى، ومرمَى في الفعل، والاسم على السواء مما كانت لامه ياءً.

وأما(باع) فالموضع الذي تحتلّه الألف في هذه الصورة، هو عين الكلمة أووسطها، ولما كانت الألف في موضع الياء؛ لأن أصل الكلمة بيَع، ومن هنا أميلت الألف المتوسطة في كل فعل أجوف يائي للدلالة على الأصل، كما هو الحال في (باع).

وفي ضوء ما تقدّم، يُستشفّ ما يشبه القانون العام لإمالة الألف المنقلبة عن ياء، وهو:

- إذا كانت الألف ثالثة لاما مطلقا نحو: رمى، ومرمى.
- إذا كانت متوسطة عينا في الفعل مثل: باع.
- إذا كانت لاما في الفعل الزائد على الثلاثة، والاسم في مثل: اشترى، وأعمى.

وتمال الألف في جميع هذه المواضع للدلالة على الأصل، وهذا فحوى نص ابن معطي، ومقصده، وهذه قاعدة عامة لإمالة الألف كونها

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1282، س:18.

منقلبة عن ياء. وأما إذا كانت الألف عينا للكلمة، ومنقلبة عن الواو فالإمالة فيه جائزة، وعلّل ابن معطي الإمالة في هذا الموضع بقوله:
«وهكذا إنْ قُلِبت عن واوٍ مكسورةٍ كخاف خوف الغاوي»"[1].
ويُستشف من هذا النص الذي قدمه ابن معطي،أنّ الألف المتوسطة إذا كانت منقلبة عن واو لا تمال ألفه، إلا أنّ للحالة استثناء، وذلك عندما يكون الواو مكسورا في مثل:(خاف).

ولكن في هذه الصيغة، نلاحظ وجود حرف استعلاء، وهو صوت الخاء، والمتفق عليه أنّ حروف الاستعلاء هي حروف مانعة للإمالة؛ لأن فيها تصعدا، وارتفاعا نحو الحنك، بينما الإمالة تسفُّل، وانحدار. ومن ثمَّ، امتنعت إمالة الألف إذا جاورها حرف استعلاء.

بيد أنه في هذه الحالة استثناء، في مثل: (خاف) الذي أصله (خوف)، فيمال ألفه مع وجود الخاء، وهو حرف مستعل، وقد جعلها ابن معطي جائزة في مثل هذه الحالة، ويرجع سبب ذلك إلى أنّ في صيغة(خوف) كسرة. والذي يستنتج من هذا،أنّ صاحب الألفية علّل للإمالة في هذا المثال بوجود الكسرة في الصيغة مع صوت مستعل هو الخاء.

هذا، وقد أشار ابنمعطي إلى أنّ من أسباب الإمالة مجاورة الألف للكسرة مطلقا"[2]"، ومن الأمثلة التي ساقها لهذا الموضع ما نلاحظ في الشواهد الآتية:
(عِبَاد)و(البَارِي)،نلاحظ أنّ وضعية الألف واحدة في المثالين، وهي تجاور الألف للكسرة، إلا أنّ في الصورة الأولى تقدمت الكسرة عن الألف، وفي الثانية وقعت بعد الألف.

ولما تجاورتا في الصيغة وقع تنافر بينهما في شكل تباعد صوتي؛ لأنّ «الفتحة والألف يطلبان أعلا الفم، والكسر والياء على العكس، فإذا

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص87، س:1.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص86، س:25.

تجاورا في كلمة حصل التنافر، فإذا قرِّبت الفتحة من الكسرة والألف من الياء صار الجميع طلبا أسفل فلم يحصل تنافر لجري اللسان على نمط واحد»"[1]. ومن هنا، أميلت الألف لمجاورتها لكسرة إما قبلها في مثل: عِبَاد، أو بعدها نحو:(البَارِي)، تحقيقا للانسجام الصوتي بين عناصر الصيغة الإفرادية، وتقريب عناصرها من بعضها في السياق النطقي.

وبعد الحديث عن مجاورة الألف للكسرة مطلقا مع التمثيل، أشار إلى سبب آخر للإمالة وهو تلاقي ألف، وراءٍ مكسور في الصيغة"[2]، نحو: (كَافِرٍ) و(النَارِ)"[3].ولعلّنا نلاحظ أنّ هناك شبها بين(كَافرٍ)، و(النَارِ) وهو أنّ الألف فيهما جاءت مجاورة لراءمكسورة، إلا أنّ في" كَافِرٍ" تقدمت الألف عن الراء المكسورة، لكن وقع بينهما صامت آخر، وهو صوت الفاء المكسور.وفي الصورة الثانية ألحِقت الراء المكسورة مباشرة بالألف دون أن يُفصل بينهما بصامت كما هو الحال في المثال الأول.

وإذا تقدمت الألف عن الراء مفصولة عنها بصامت في مثل: كافِرٍ، فإنّ إمالة الألف فيه جائزة على حد قول الشارح«فإن بعُدَت الراء على الألف بحرف نحو:كَافِرٍ جازت الإمالة مع الكسر مطلقا»"[4]. ومفاد هذا القول، انّ الألف إذا وقعت متقدمة عن الراء في التركيب، وكانت منفصلة عنها بحرف، والكسر في الراء غير لازم، وإنما عارض،فإنّ إمالة الألف في هذا الموضع جائزة باعتبار الراء؛لأنّ صوت الراء لما كان مكسورا اعتُبرت بصوتين مكسورين متتابعين في الصيغة،لأنّ« الراء عند كسرها تُرقَّق، وتختلس حركتها، والرقة من صفات الكسر التي هي علة الإمالة»"[5]. ولذلك يجوز إمالة الألف للكسرة التي بعده في مثل:كَافِرٍ، تحقيقا للانسجام، والتقارب الصوتي في السياق النطقي.

---

1 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1279، س:12.
2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص87، س:25.
3 - نفسه، ص88، س:03.
4 - علي موسى الشوملي، شرح ألفية ابن معطي، ج2، ص1282، س:02.
5 - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيويه، ص374.

ويتضح من استخدام ابن معطي لمصطلح" الإمالة"، ومشتقاته، أنّه يستعملها في مدلولها الدقيق للدلالة على ما يقصده منها لاستقرار هذا المصطلح، ووضوحه للدلالة على مفهومه، وهو بذلك جاء مأكدا لما قاله العلماء من قبل كسيبويه.

وما تفرّد به دونهم أنّه عمِل على تلخيص الشروح الطويلة بألفاظ سهلة، موجزة، ودقيقة تُغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة. وعمل ابن معطي في كل هذا مُحكم، ودقيق؛ ذلك أنّه كان يستعرض كل حالة على حدة مع التمثيل، وهذا يتفق والدقة التي حرص عليها في ألفيته. وبهذا، ينتهي حديث ابن معطي عن هذا المصطلح، وسابقيه، ولاحقيه من قدماء ومحدثين، ويبقى بعد ذلك مصطلح صوتي ذكره ابن معطي، وهو:

- تخفيف الهمزة:

إنّ تلخفيف هو ضد التثقيل، وخفَّ الشيء يخِفُّ خفاً: قلّ ثِقله، وتخفَّف منه؛ أزال بعضه ليقلّ ثِقلُه. ومنه تخفيف الهمزة الذي يدلّ على التخفُّف في نطق الهمزة، والتخلّص من ثقلها، لأنها ثقيلة في نطقها لخروجها من أقصى الحلْق؛ وتخفَّف من ثلاثة أوجه، وهي: الإبدال، والحذف، وجعلها بين بين.

ولقد تعرّض ابن معطي لهذه الظاهرة الصوتية في ألفيته، ولم يعقد له بابا معيّنا، بل ذكره مبعثرا هنا، وهناك؛ لأنّه لم يكن هدفه التوسع فيه، وإنّما كان يشير فقط إذا دعت الضرورة، لاسيّما في موضع حديثه عن أحرف الإبدال. ومع هذا فقد تناول مصطلح" تخفيف الهمزة"، وإن كانت عبارة عن إشارات موجزة، ولكنها دقيقة تدلّ على معرفة دقيقة بهذا الموضوع، وأحواله، ومصطلحاته، وللتدليل على ذلك نستعرض عيِّنة موجزة عن مواطن هذا المصطلح في عبارات ابن معطي، من ذلك قوله:

فالهمزُ قد يُحذَفُ إذْ يُخَفَّفُ يُبدَلُ منهُ مِثلَ رَأس ألفُ

ومِثلُ مُؤْمن يوَاوٍ يُبــدَلُ ومِثلُ بِئْرٍ محضَ يَاءٍ يُجْعَلُ»"[1]. وقال في موضع آخر:

«وفخفِّا الهمزَ بالحَذفِ كخَبْ في الخَبْءِ إذا سُكِّنَ قبلها وجَب»"[2"]، وهي بعض المواضع التي يقع فيها تخفيف الهمزة.

ويتضح من هذه العيّنة،أنّ صاحب الألفية يستعمل لفظ" التخفيف" للدلالة على هذه الظاهرة التي تنتقل فيها الهمزة من طبيعتها الصوتية محققة إلى صورة صوتية أخرى أخفٌّ منها، سواء كانت" بين بين" أو" أُبدِلت" أو "حُذِفَت". وسنتناول فيما يأتي بالدراسة النصوص، والأمثلة، التي ساقها ابن معطي لوصف هذه الظاهرة الصوتية:

فأما قوله: (فالهمزُ قد يُحذَفُ إذْ يُخفَّفُ يُبدَل منه مثلُ رأس أَلِف)، فهو يلمِّح إلى وجهٍ من وجوه تخفيف الهمزة، وهو تخفيفها بالإبدال، بحيث استعمل لفظ" يبدل" مباشرة بعد ذكر مصطلح" يخفف"، هذا التسلسل، والترتيب الموضعي أشار إشارة دقيقة إلى تخفيف الهمزة بالإبدال.

وإنّ استخدام ابن معطي للفظ" يبدل" في هذا الموضع،يدلّ على تخفيف يحدث للهمزة بإزاحتها، أو إزالتها من مخرجها، وصفاتها الطبيعية نهائيا، وذلك بإبدالها إبدالا خالصا إلى حرف آخر، فقد أوحى لفظ" تحذف"إلى أنّ الهمزة تُزَال نهائيا،ويُؤتَى بحرف آخر يحِلُّ مكانها، شريطة أن تكون هناك علاقة صوتية بين المبدَل، والمبدَل منه في المخرج، أو في الصفة، في مثل:(رَأس).

وقد اقتضت هذه الحالة، تخفيف الهمزة بإزالتها، وإحلال صوت الألف مكانها، لسكونها، وانفتاح ما قبلها، والسبب الصوتي الذي جعل الهمزة ألفا، وهي الفتحة التي قبلها، ذلك أنّ الفتحة جزء من الألف،

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:02.

2 - - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي ، ص92، س:22.

وبتجاورها ينسجم السياق النطقي. ومن هنا، أبدلت الهمزة ألفا طلبا للتجانس الصوتي بين عناصر الصيغة، فقالوا:" راس".

وأوضح ابن يعيش هذه الصيغة بقوله:« فإذا سكّنت الهمزة، وأُريد تخفيفها، دبرها حركة ما قبلها، فإن كان ما قبلها فتحة صارت الهمزة ألفا... ؛ لأنك إذا خففتها فأنت تزيل نبرتها، وإذا زالت نبرتها لانت وصارت إلى جنس الألف؛ لأنها أقرب الحروف إليها من فوق، وسوّغ ذلك الفتحة قبلها؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا»"[1]. ومفاد هذا الكلام، أنّ العلة الصوتية في ذلك هو، التناسب الصوتي الذي أدى إليه النطق بالهمزة مخففة فأزال تخفيفها وقفتها الحنجرية، وبقي الألف الممطول عن الصائت القصير(الفتحة) محلّها، فحدث نوع من التقريب الصوتي بين الهمزة وما قبلها.

هذا، وقد أشار ابن معطي بإيجاز شديد عن الهمزة الساكنة بعد ضم، أو كسر، بحيث مثّل لهما بقوله:
و«مِثْلُ مُؤْمن بواوٍ يُبدَل ومِثْلُ بِئْرٍ محض ياءِ يُجعَلُ»"[2]. إنّ ابن معطي في هذا الموضع يستأنف كلامه عن حالة تخفيف الهمزة بالإبدال؛ بحيث ذكر في النص السابق مراحل، أو أطوار تخفيف الهمزة إذا كانت ساكنة بعد فتح لازم، ومثّل له بكلمة (رَأس=رَاس).

ثم استأنف الكلام عن هذه الهمزة من غير أن يعيد الألفاظ، أو المصطلحات السابقة(يُحذف، يُخفّف، يبدَل)، التي استعملها في التعبير عن ظاهرة تخفيف الهمزة بالإبدال، وإنما ذكر الأمثلة مباشرة بحيث يُعرَف من خلالها أنّه يقصد الإشارة إلى تخفيف الهمزة حال كونها ساكنة مسبوقة بضم، أو كسر.

---

1 - (باختصار)، ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص266، قدم له ووضع هوامشه: إميل بديع يعقوب.

2 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:05.

وكأنّه في هذا كلّه يعرض القاعدة العامة للهمزة الساكنة بعد صوت متحرك (بالفتح، بالصم، أو بالكسر) ثم يتدرّج بعدئذ إلى سرد ما يمكن أن ينضوي تحت هذا القانون أو القاعدة بالتمثيل لكلّ حالة على حدة؛ إذ أشار إلى: الهمزة الساكنة بعد فتح، ومثّل لها بكلمة(رَأس= رَاس)، وقد سبق تعليل تخفيف الهمزة في هذه الصورة. وسنتناول الآن تحليل المثالين الذين استشهد بهما ابن معطي لوصف هذه الظاهرة، وهما:

الهمزة الساكنة بعد ضم، ومثّل لها بلفظ(مُؤْمن= مُومن)"[1]"، يرى صاحب الألفية أنّ الهمزة إذا كانت ساكنة دبرها ضمة، تخفّف بإزالتها، وإبقاء الواو الممطول عن الصائت القصير الذي قبلها موضعها، في مثل:مُؤْمن.

وقع في هذه الصورة تخفيف الهمزة بإبدالها واوا للضمة التي قبلها، لأنّ صوت الضمة جذبها إليه فأزال تخفيفها وقفتها الحنجرية، وبقي الواو الممطول عن الصائت القصير الذي قبلها محلّها تحقيقا للانسجام، والتقارب الصوتي بين أصوات الصيغة الإفرادية، فقالوا:" مُومن".

وأما الهمزة الساكنة بعد كسر، فقد مثّل له بكلمة(بِئْر= بِير). في هذه الصيغة تخفّف الهمزة أيضا بإبدالها ياءً، لسكونها، وانكسار ما قبلها، من أجل تحقيق الانسجام، والتقارب الصوتي بين عناصر الصيغة، فقالوا:" بِير".

إنّ ما يمكن أن يستنتج مما تقدم، هوأنّ الهمزة الساكنة خُفّفت بإبدالها حرف مد حسب حركة ما قبلها؛ لأنّ المجيء بالحركة يستلزم نطق صوت المد التي هي بعضه، فإذا جئت بالفتحة فإنّك تطلب الألف، ويسري هذا الحكم على الحركات المتبقية(الضمة، والكسرة)، وفي الحالات الثلاث حدث نوع من التقريب الصوتي بين الهمزة، وما قبلها.

---

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص93، س:05.

والعلة الصوتية في جميع ما سبق، وهو التناسب الصوتي الذي أدّى إليه النطق بالهمزة مخفّفة بإزالة وقفتها الحنجرية وإبقاء الصائت الطويل المناسب لصوت ما قبله محلّه.

ويتضح من النصوص السابقة، أنّ مصطلح" يبدل" عند ابن معطي استعملهللدلالة على ظاهرة تخفيف الهمزة؛ بحيث تنقل الهمزة من مخرجه، وصفاتها إلى مخرج، وصفات أخرى، وذلك بجعلها ألفا، أو واوا، او ياءً.أي أنّ تخفيفها بالإبدال لدى صاحب الألفية هو جعل الهمزة بين صائتها وصوت الصامت الذي منه صائتها؛ بحيث تقرّب الهمزة من صورة صائت الصامت الذي قبلها.

وأما قوله:« وقفّوا الهمزة بالحذف كخَبْ في الخَبْءِ إذا سُكِّن قبلها وجب»"[1]. وفي هذا النص يلاحظ ما يشبه القانون العام لتخفيف الهمزة المتحركة بعد ساكن، وهو: إذا كانت الهمزة متحركة بعد صوت ساكن تُحذَف، ويُنقل صائتها القصير إلى الصامت الذي قبلها في مثل: (الخَبْءُ=الخَبُ).

وخفّفت الهمزة بالحذف وإلقاء حركتها إلى الصامت الذي قبلها، لأنها جاءت في نهاية الصيغة، أو طرفا، ولما كانت في نهاية المقطع الأخير من الصيغة استعسر النطق بها، واستُثْقِل على اللسان؛ لأنها صوت شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلْق.

لقد اقتضت هذه الحال أن تُحذف الهمزة نهائيا من السياق، وإلقاء حركتها إلى الصامت الساكن الذي قبلها، تحقيقا االنسجام الصوتي بين عناصر الصيغة الإفرادية، فقالوا:" الخَبُ ". ونستشف من النص السابق، أنّ مصطلح" الحذف" استعمله ابن معطي في هذا الموضع للدلالة على تخفيف الهمزة باسقاطها نهائيا من الاستعمال؛ وذلك لعلة صوتية حتّمت ذلك الحذف، ولوجود قرينة سياقيةتدلّ على ذلك الحذف.

1 - ابن معطي، متن ألفية ابن معطي، ص92، س:22.

وفي ضوء ما تقدم، نستنتج أنّ مصطلح" تخفيف الهمزة" عند ابن معطي، هو اسم لظاهرة صرفية صوتية، تناولها العلماء العرب في دراساتهم لتحقيق لون من الانسجام، والتناسب، والتقارب بين أصوات الصيغة الإفرادية.

والجديد عند ابن معطي، أنّه لم يُفرد لهذا الموضوع بابا مستقلا يصف فيه الظاهرة بشيء من التفصيل، كما هو الحال في الموضوعات السابقة(الإدغام، الإبدال والإمالة)، مخالفا بذلك نهج السابقين كسيبويه.

وهذا لا يعني أنّه أغفل الحديث عن هذا الموضوع، وإنما آثر الكلام عنه مَعِيَّ ّة بعض الموضوعات التي لها علاقة وثيقة به؛ كالإبدال والحذف. وأرى أنّ الذي دفعه إلى مثل هذا الصنيع هو الحرص على الإيجاز، والدقة.

وفي هذا كله، كان حريصا على التوظيف الدقيق لكل مفردة ترد في عباراته، بحيث يُعرَف من خلالها مجال توظيفه إياها، ساعده ذلك وضوح معنى المصطلح، ودقته لدى من تقدّمه من العلماء. وبهذا، ينتهي حديث مصطلح "تخفيف الهمزة" عند ابن معطي.

الخاتمة

نتائج البحث

يعدّ هذا البحث" **المفاهيم الصوتية وتوظيفها في ألفية ابن معطي ما بين المتن والشرح"**، محاولة تهدف في المقام الأول إلى المساهمة في الكشف عن جهود ابن معطي في الدراسة الصوتية. وبعد أن درست المفهوم الصوتي في الألفية، وتتبّعت مجال توظيفه إيّاه ما بين المتن والشرح، ووازنت ذلك بما قدّمه العلماء قبله من جهود علمية، استخلصت النقاط الآتية:

لم يكن ابن معطي مجرّد ناقل أو جامع لآراء غيره، بل كانت له مقدرة فائقة في التعليل والترجيح، كما تظهر أحكامه على حظ كبير من السداد والقبول، شأن العالم المعتمد عليه، المتأكّد من صحة قوله، وتصويب رأيه وعمق إدراكه، وتمكّنه من الفهم، كما اتضح من خلال استخدامه لبعض الألفاظ، نحو: اللهوية، الشجرية، النطعية، الأسلية، واللينية...

- ومن خلال قراءتنا للمتن استطعنا أن نتعرّف على بعض الشخصيات الهامة في تكوين كتابه من حيث المادة اللغوية، ومن هذه الأعلام الأساسية: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن دريد، وابن جني، ومكي بن أبي طالب القيسي.

- لقد استفاد ابن معطي من ثقافته الموسوعية ووظّف معارفه في المجالات المختلفة كالأدب والشعر في خدمة ألفيته، فجاءت هذه الألفية شديدة الإيجاز، مركّزة الدلالات، تزاحمت فيها المصطلحات، وتدافعت المفاهيم، فلا تجد فيها حشوا أو تكريرا، بل يحتاج المطّلع عليها إلى إمعان النظر، وإعمال الفكر في كلّ جملة من جملها بل في كلّ كلمة من كلماتها.

- تلخيص الموضوع بكلمات معبّرة عن الشرح الطويل.
- تقريب المفاهيم بألفاظ سهلة، موحية وموجزة، وهذا يدلّ على تذوّقه الرّفيع للألفاظ،كما هو الحال في توظيفه للألفاظ الآتية: المجهورة، أغنّان، الطويل،...وغيرها.
- يوجد تشابه واختلاف بين ابن معطي وغيره من علماء العربية القدماء والمحدثين، ومجال الاتفاق أوسع من مجال الاختلاف، لأنّ كثيرا من نقاط الاختلاف يمكن أن نغضّ النظر عنها وأن نهملها؛ وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق، فليس هناك في الواقع حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج، نحو: "النطعية واللثوية"، أو" الذلقية والأسلية".... ووصف المخارج عند ابن معطي بهذه الصورة يدلّ على قوة الملاحظة والذكاء النادر.

-لم يولِ ابن معطي للمصطلحات عناية قبل استثمارها، إذ لم يقدم تعريفا ولا تحديدا لأطرها الدلالية. ولعلّ الذي دفعه إلى هذا الصنيع شعوره بوضوحها وعدم التباسها، لأنّها كانت لصيقة بمعانيها اللغوية، بل إنّ منها ما وصل حدّ التطابق، نحو: المنحرف، المكرّر، المطبقة، وغيرها.
- كان ابن معطي كثيرا ما يعبِّر عن المفهوم الواحد باللفظ الواحد كالإدغام، والإمالة.

هذه بعض الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، الذي هو محاولة لمبتدئ في طريق البحث العلمي.

والله وليّ التوفيق.

مكتبة البحث

أولا- المطبوعة:

❖القرآن الكريم.

أبو بكر حسيني

1- التركيب النوعي للحركات- رؤية في الدلالة والوظيفة، التراث والحداثة في اللغة والأدب، جامعة البليدة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية- قسم اللغة العربية وآدابها، 2004هـ.

أحمد مختار عمر

2 ـدراسة الصوت اللغوي، مط: عالم الكتب- القاهرة، ط: 03، 1405هـ- 1985م.

الأنباري(ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري)

3- أسرار العربية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 01، 1418هـ- 1997م.

الأشموني(نور الدين الأشموني)

4- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج4، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 01، 1419هـ- 1998م.

ابراهيم أنيس.
5-الأصوات اللغوية، مط: محمد بن عبد الكريم حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: 04، 1981م.

ابن الجزري(أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)
6- النشر في القراءات العشر، ج1، تحقيق: علي محمد الضباع.

ابن الجزري(شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري الدمشقي)
7-شرح طيبة النشر، ضبطه وعلّق عليه: الشيخ أنس مهرة، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 01، 1418هـ- 1998م.

ابن جني(أبو الفتح عثمان بن جني)
8-الخصائص، ج1 وج2، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مط:دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط: 01، 1421هـ- 2001م.
9-سرّ صناعة الإعراب، ج1 وج2، تحقيق: حسن هنداوي، مط: دار القلم- دمشق،ط: 02، 1413هـ- 1993م.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن خلدون المغربي)
10- مقدمة ابن خلدون، مط: دلر الجيل- بيروت.

ابن خلّكان

11- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق ودراسة: إحسان عباس، ج6، ط: دار الثقافة، بيروت- لبنان.

ابن دريد(أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري)

12- جمهرة اللغة، ج1، ط: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن مالك(جمال الدين محمد بن مالك)

13- شرح الكافية الشافية، حققه وقدّم له: عبد المنعم أحمد هريري، مط: دار المأمون للتراث.

ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور)

14- لسان العرب، ط: دار صادر- بيروت، ط:01، 1997م.

ابن معطي(يحي بن معطي بن عبد النور الزواوي الجزائري)

15- متن ألفية ابن معطي، مط: العاني- بغداد، 1410هـ- 1989م.

ابن العماد(أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي)

16- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5-6، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، مط: منشورات دار الآفاق الجديدة.

ابن عصفور الإشبيلي

17- الممتع في التصريف، ج1 وج2، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط: الدار العربية للكتاب.

ابن السراج(ابو بكر محمد بن سهيل بن السراج النحوي البغدادي)

18- الأصول في النحو، ج3، تحقيق: عبد الحسن الفتلي، ط: مؤسسة الرسالة،ط: 01، 1405هـ- 1985م.

ابن سينا(أبو علي الحسين بن سينا)

19- أسباب حدوث الحروف، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، 1398- 1978م.

ابن الوردي

20-تاريخ ابن الوردي.

ابن يعيش(أبو البقاء بن يعيش)-

21- شرح المفصل، ج5، تحقيق: إميل بديع يعقوب، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط: 01، 1422هـ- 2001هـ.

بسام بركة

22- علم الأصوات اللغوية، مط: مركز الإنماء القومي، لبنان- رأس بيروت، المنارة.

تمام حسان

23- مناهج البحث في اللغة، مط: الرسالة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م.

الخليل بن أحمد الفراهيدي

24- معجم العين، تحقيق: عبد الله درويش، مط: العاني- بغداد،ط:01، 1386هـ- 1967م.

الخفاجي(ابن سنان الخفاجي)

25- سر الفصاخة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيد، ط: محمد علي صبيح وأولاده، 1389هـ- 1969م.

رمضان عبد التواب

26- ثلاث كتب في الحروف، ط: مكتبة الخريجي بالقاهرة، ط: 01.

رضي الدين محمد بن الحسين الأستربادي النحوي

27- شرح شافية ابن الحاجب، ج3، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة: محمد نور الحسن، محمد الزفاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1402هـ- 1982م.

ريمون طحان

28- الألسنية العربية، مط: دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط: 02.

زبير دراقي

29 -محاضرات في فقه اللغة، مط: ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر،ط: 02، 1994م.

الزمخشري(جار الله بن عمر الزمخشري)

30- المفصل في صناعة الإعراب، قدّم له وبوّبه: علي أبو ملحم، مط: دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، الطبعة الأخيرة، 1421هـ- 2000م.

كمال محمد بشر

31- علم اللغة العام- أصوات، مط: دار المعارف بمصر- القاهرة، ط: 07، 1980م.

المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد المبرد)

32- المقتضب، ج1- 2، تحقيق: حسن حمد، مط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط: 01، 1420هـ- 1999م.

محمد الأنطاكي

33-المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1، مط: دار الشرق العربي- بيروت، ط: 03.

محمد الأنطاكي

34- الوجيز في فقه اللغة، مط: د ار الشرق العربي- بيروت، ط: دار للشرق العربي- بيروت، ط: 02، 1389هـ- 1969م.

محمد المبارك

35- فقه اللغة وخصائص العربية، مط: د ار الفكر- بيروت، ط: 06.

محمد محمود غالي

36- أئمة النحاة في التاريخ، مط: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط: 01، 1396هـ- 1986م.

محمود فهمي حجازي

37- مدخل إلى علم اللغة، مط: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة)، 1998م.

محمود السعران

38- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مط: دار المعارف بمصر، 1962م.

مناف مهدي الموسوي

39- علم الأصوات اللغوية، مط: عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط: 01.

صبحي الصالح

40- دراسات في فقه اللغة، مط: دار العلم للملايين، ط: 15.

عبد الرحمن الجيلالي

41- تاريخ الجزائر العام، ج3 ،مط: د ار الثقافة- بيروت، ط: 04.

عبد الصبور شاهين

42- في التطور اللغوي، مط: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 02، 1985م.

عبد العزيز الصيغ

43- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، مط: دار الفكر، دمشق- سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط: 01، 1421هـ- 2000م.

عبد القادر خليل مرعي

44- المصلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، مط: منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنية، ط: 01، 1413هـ- 1993م.

عبد القادر عبد الجليل

45- الأصوت اللغوية، مط: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، 1418هـ- 1998م.

عبد القادر عبد الجليل.

46- علم الصرف الصوتي،

عمر بن أبي حفص الزموري

47- فتح الليف في التصريف على البسط والتعريف، مط: ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر،ط: 01، 1411هـ- 1991م.

علي موسى الشوملي

48- شرح ألفية ابن معطي، ج1 وج2، ط: مكتبة الخريجي- القاهرة، ط: 01، 1405هـ- 1985م.

علي عبد الواحد وافي

49- فقه اللغة، ط: دار النهضة بمصر للبع والنشر، ط:06.

غالب فاضل المطلبي

50- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ط: دار الحرية للطباعة- بغداد، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، 1984م.

قحطان عبد الرحمن الدوري وفرج توفيق وليد

51- قواعد التلاوة، ط: جامعة بغداد، 1400هـ- 1980م.

القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي)

52- صبح الأعشى في صنعة الإنشا، ج3 ط: المؤسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتوماس وشركاه.

سيبويه(أبو بشر عمرو)

53- الكتاب، ج3 وج4، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط: 01، 1420هـ- 1999م.

السيوطي(عبد الرحمن جلال الدين السيوطي)

54- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، م2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

شوقي ضيف

55- المدارس النحوية، ط: دار المعارف بمصر،ط: 02.

ثانيا- المخطوطة:

بلقندوز الهواري

56- مصلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات العربية الراهنة، مقارنة نسقية، جامعة وهران- السانية، 2000- 2001م (ماجستير).

مكي درار

57- الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، جامعة وهران- السانية، 1985- 1986م(ماجستير).

عائشة بطو

58- الكافي في التصريف لمحمد بن يوسف اطفيش، تحقيق ودراسة، جامعة وهران- السانية، 2001- 2001م.

الدوريات

صفية مطهري

59-أزمة الفطام المصطلح اللساني العربي،مقال في مجلة كتابات معاصرة، العدد 32، المجلد 8،سنة1998

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ- د
مدخل تاريخي	2- 19
الفصل الأول: *المفاهيم الصوتية الفيزيولوجية*	21- 58
تمهيد	21
الحلق	22
اللهاة	26
شجر الفم	31
أسلة اللسان	35
نطع الغار الأعلى	40
اللثة	44
ذلق اللسان	48
الشفتان	53
اللين	55
الفصل الثاني: *المفاهيم الصوتية الفيزيائية*	59- 100
تمهيد	60
الجهر	62
الهمس	68
الشدة	70
الاسترخاء	75
بين الشدة والرخاوة	78
الاستعلاء	82
الإطباق	85
الانحراف	88
التكرار	90
الهاوي	91
الغنة	94

الاستطالة 96
الصفير 99
الفصل الثالث:
التلوينات الصوتية 101- 131
تمهيد 102
الإدغام 102
الإبدال 108
القلب 114
الإمالة 118
تخفيف الهمزة 125
الخاتمة 132- 139
نتائج البحث 133
مكتبة البحث 135
فهرس
الموضوعات 146